



الرحومة الألسنة مي

المقتطف

الجزء الاول من المجلد المائة

١٤ ذو الحجة سنة ١٣٦٠

١ يناير سنة ١٩٤٢

رأي عالم كبير

في الدين والعلم

وأثرهما في عصرنا وفكرنا وحياتنا

هذا الفصل ملخص رسالة للدكتور كارل كطن وهو عالم اميركي كبير ورئيس معهد من اكبر المعاهد العلمية في العالم نعتي «معهد بوسطن التكنولوجي» الذي خرج الوفاً من اكبر مهندسي العالم. وقد كتب هذه الرسالة، يحذوه روح الخير والفضة، معترفاً في مستهلها بأنه لا يعد نفسه أهلاً لمعالجة موضوع الدين من نواحيه الفلسفية العويصة، او مسائله المذهبية المعقدة، ولكنه مع ذلك قدم على الكتابة في الموضوع لأنه مؤمن بأن هناك نواحي من علاقة الدين بالعلم يجدر بالعلماء وغيرهم ان يوجهوا عنايتهم اليها والناحية الاولى التي يتجه اليها النظر هي ناحية الخلاف الكبير بين العلماء في نظرهم الى الدين. ففي الطرف الواحد نجد العالم الفيلسوف برتراند رسل يقول «ان رأيي في الدين هو رأي لقريطيوس: فالدين مرض ولد من الخوف وهو مصدر شقاء للناس لا حيلة له». ويقول كطن إنه لا مفر، من الاعتراف بأن لقول رسل أساساً من الصحة بجانب غير يسير من المذاهب الدينية مردّه الى الرغبة في النجاة من خوفٍ او سوءٍ وهذه الرغبة ليست في حدّ نفسها شيئاً يندم ولكنها لا تقع في مستوى واحد رفيع مع الدوافع الروحية التي تتجلى

في الشعور الديني . وكذلك يجب ان نسلم بان الحرب والاضطهاد والاستغلال باسم الدين جلبت على العالم « شقاء للناس لا حد له » على قول برتراند رسل

ويقابله في الطرف الآخر المفكر والعالم الطبيعي الكبير الدكتور مليكن . فهو يقول : — « ليس ثمة تناقض بين العلم والغرض الاصيل من الدين وهو تهذيب الضمار ورفع مستوى المشل التي ترنو اليها الانسانية . ولكن الديانات المختلفة او فروع الديانة ، تحتوي على الغالب بعض ما هو غير اصيل في الدين ، وهو مما يشند الاعتراض عليه . واني لاومن شخصياً بأن الدين الاصيل لا دين المذاهب أعظم ما يحتاج اليه العالم »

وبعد ذلك روى الدكتور كطن ما وقع له مع استاذ لاهوتي ، للدلالة على بعد الشقة بين نظرتهم في مسائل الدين فقال إنه تبين في بدء الحديث ان للشقة واسعة بين النظرتين ، فوجه عنايته الى معرفة المسائل التي في الوسع اتفاقهما عليها فقرر ان يسأله سؤالين . فلما اجاب عرف ان الهوة بينهما غير قابلة للردم

كان السؤال الاول — ما عمر الأرض ؟ ولا يخفى ان المشتغلين بتفسير العهد القديم من التوراة على اعتبارهم سجلاً دقيقاً لحوادث التاريخ ، حاولوا تعيين عمر الارض على أساس سبعة ايام الخليقة وتسلسل الناس من آدم وحواء . وعمر الأرض على هذا الاساس دون عشرة آلاف سنة . يقابل هذا ان العلماء يستندون في تبين عمر الارض الى علوم الجولوجيا والطبيعة . ومن أساليبهم تقدير مدى تفتت الصخور وانسيابها مع الماء الجاري الى البحر حيث تترسب . وعلى هذا الاساس قدّر الزمن الذي يستغرقه هذا الفعل في حفر وادي نهر كولورادو مثلاً بمئات الالوف من السنين على الاقل . ودراسة معدل الترسيب في مصبي نهر النيل والمسيبي أفضت الى القول بأن ترسيب دلتا النيل ودلتا الميسسي يستغرق مئات الالوف من السنين كذلك . ثم ان دراسة مقدار الملح الذي تذيبه مياه المطر وينساب مع الأنهار والجداول الى البحر ، أفضت الى مثل هذا الجواب . ولكن أدق اساليب العلم في تبين عمر الارض يعتمد على تقدير عمر الصخور بدراسة ما تحتويه من المواد المشعة ، فكان المواد المشعة ساعات دقيقة مطوية في الصخور ، تحصى القرون المتوالية ، وهي غير متأثرة بالبرد او الحر او الضغط او التفاعل الكيميائي . والعلماء يعتقدون ان هذا الاسلوب أدق الاساليب جميعاً في استخراج عمر صخور الارض وهو يقدر به بمئات من ملايين السنين

قال كطن : فقلت لمحدثي الاستاذ اللاهوتي ، كيف تستطيع ان تتمسك بالتفسير الحرفي للتوراة وتذهب الى ان عمر الارض عشرة آلاف من السنين ، وأمامك أدلة العلم التي تقدم ذكرها . فقال : أتم العلماء ترضون فرضاً لايسعكم اقامة الدليل على صحته ، وهو ان النواميس العلمية

التي تستخرجونها كانت تنطبق على الارض قبل الف سنة او اكثر من الزمان . أما أنا فأفضل ان أفرض ان الكتاب المقدس دقيق دقة مطلقة

فلما تبينت انه من المتعذر علينا ان نتفق على أساس هذه المسألة وجهت اليه سؤالاً الثاني وهو : أيهما أهم في نظرك ولادة المسيح من عذراء ، او تعاليمه المتجلية في كلماته وحياته ، عن صلة الناس بالله ؟ فقال ان ولادة المسيح من عذراء أهم جداً ، لأننا اذا لم نسلم بها ، فقدنا كل أساس يسبغ على تعاليمه السلطان اللازم لقبولها والعمل بها . خاولت ان أقدم دليلاً على ان تعاليم المسيح ، مقبولة لذاتها ، لأن تجارب البشر أثبتت صحتها واني لاستغرب ان توضع تعاليم المسيح ومثله التي وقف حياته على نشرها وتمكينها في النفوس ، في منزلة تلي ما لطريقة ولادته من منزلة . ولكننا لم نتفق

واني لأعلم ان المثل الذي ضربته في ما تقدم لا يعدو كونه مثلاً نادراً ، ولكنه مع ذلك يجب ان نعترف بأنه يمثل لوناً من التفكير الديني ترجع أصوله الى عصور متغلغلة في القدم . فمن بضعة آلاف من السنين كان كل مظهر من مظاهر الطبيعة يسند الى عمل رب أو ربّة او الى أمره أو أمرها . ولكننا اليوم ندرس بيانات المراقص الجوية بدلاً من ان نبتهل الى الشمس والرياح والمطر ، وفي هذه البيانات والكتب التي ألفها علماء الظواهر الجوية (متيورولوجيا) نقع على القواعد والضوابط التي تفسر حركة الرياح وتولد الغيم وانهمار المطر . وكانت المحاصيل في العصور البدائية ، تعتمد في نظر الناس بين اقبال وإحمال على ربّة الحصاد ، ولكننا نعلم الآن انها تعتمد على نوع البنود وطبيعة التربة وتوزيع ضوء الشمس والمطر والسيطرة على الآفات الحشرية

وقبل بضعة قرون كان الرأي ، ان القول بان الارض ليست مركز الكون ، ضربة قاضية على النصوص الدينية ، لأن هذه النصوص تحتوي على آيات تقول ان الشمس تشرق في الشرق وتغرب في الغرب والنجوم تسير في أفلاكها . والتسليم بالصور الفلسفية الحديثة ، كان الهزيمة الأولى لآراء الكنيسة المنظمة ، وما ارتدته من جلباب السلطان والعلم الذي لا يخطئ

وكذلك القول بكرة الارض . فالملاحون كانوا يعرفون هذه الحقيقة قبل كولمبوس ، ولكن آراءهم في حجم كرة الارض كانت خاطئة . إلا ان الكنيسة قاومت هذا الرأي معلقة رأيها بالقول في « اربع زوايا الارض » . فكيف تكون الارض كرة ولها زوايا ؟ وفي مرحلة معينة من مراحل هذا النزاع اقترح بعضهم اقتراحاً وسطاً غريباً . ذلك بأن تجعل خارطة الارض المتبادلة متنفخة انتفاخاً مستديراً بين الزوايا ، فيحتفظ فيها بفكرة الزوايا الاربع ويعترف بعض الاعتراف بما أثبتته رجال الملاحة وعلماء الفلك

وفي عهدنا هذا نلاحظ طائفة كبيرة من الكنائس وهي تكافح كفاحاً خاسراً نظرية التطور . فمن نحو ربع قرن عندما كانت زوجتي تؤدي نصيبها من الخدمة في جمعية الشابات المسيحية ، زارت معاهد كثيرة للبنات او للتعليم المختلط حيث كان تعليم نظرية التطور محظوراً . وكانت البنات تشير الى هذه النظرية همساً بغير ان تدري شيئاً عن هذا البعيع ! وفي أثناء زيارة زوجي لهذه المعاهد كانت البنات تجتمع طوائف وتطلب كل طائفة من زوجي ان تنيرهن ببسط مبادئ هذا الموضوع الممنوع . وقد فرض هذا الحظر على الرغم من ان أجيالاً متلاحقة من العلماء استوضحت حقيقة التطور العضوي في النبات والحيوان والانسان بدراسة الطبقات الجولوجية وما فيها من آثار متحجرة وبتوفرها على دراسة تشريح المقابلة ، وما أشبه . بل اننا خطونا في هذا العصر خطوة كبيرة بعد ما تبينا اننا قادرون على استحداث انواع جديدة من النبات والحيوان ، بتعريضها للاشعة السينية او اشعاع الراديوم أو باستعمال بعض المواد الكيميائية لاستحداث صفات جديدة وراثية فيها ، ولا يستبعد أن تصبح السيطرة على التطور العضوي عملاً تجارياً بدخوله مفارخ الدجاج أو منابت البساتين

جميع الاقوال السابقة الذكر لها صلة بالسؤال هل هناك نزاع بين العلم والدين . والرأي عندي أن الاجابة عن هذا السؤال مرتبطة بما تحتوي عليه ديانة ما . فاذا اتجهت ديانة ما الى اصدار الاراء في شؤون المادة ونواميس الطبيعة والقوى المحركة فيها ، سواء أقوانين علم الطبيعة كانت ام قوانين علم الفلك ام قوانين علوم الأحياء والوراثة ، فالجواب انه لا بد للدين من الاصطدام عاجلاً ام آجلاً بالمعارف العلمية المتغيرة السائرة الى الأمام ولا بد ان يكون الدين في الجانب الخاسر في هذا الصدام . واذا كان هناك من رجال الدين من يتبرم بهذا القول فعليه بمراجعة مار اوغسطينس الذي فرق بين مبادئ الدين وبين حقائق الوجود المتغيرة بتفتح ذهن الانساني واتساع دراهمه

وما يذكر في هذا الصدد للتسلية والعبرة ، حادثة حدثت ببوسطن بالولايات المتحدة عندما كان فرنكاين يجري في تجاربه التي أفضت الى استنباط قضيب الصاعقة . فتحير فريق من رجال الدين في بوسطن وسخطوا اشد سخط على هذا الأثم المتدخل في عمل الله الذي اختار الرعد والبرق لتأديب ابنائه الخطاة . فلما زلزلت الأرض زلزالها في تلك المنطقة زعم الوعاظ من منابر الوعظ ان الله يحذر الناس من التدخل في أعماله . وليس ثمة ريب في ان هذا الموقف الذي وقفه رجال الدين أفضى في أذهان المتبعين للكشف والاستنباط ، الى شيء من الانصراف عنهم وعن المذاهب التي يبشرون بها

يقابل هذا ان العلم لم يتعدّ حدود ما للدين من وظيفة اساسية في حياة الانسان ، وهي تمسُّ

آماله ومثلته والبواعث التي ترشده في صلتِهِ باخوانه في الجماعة . حتى في هذه الدائرة ، للعلم نصيبٌ من حيث قدرته على ضبط الاضطرابات الغدنية او النفسية ، التي تشوه نظرة المرء الى الحياة والناس وتحمله على سلوك لا يوحى به العقل ولا تقبله او تتحملة مصلحة الجماعة . ولكن مع التسليم بكل هذا اعتقد ان في الانسان فطرة دينية تتوق الى الاعراب عن ذاتها وان هناك دنيا عريضة ، المقام الاول فيها للتقدير الروحي ، فالشأن الاول فيها للدين لا للعلم

ان مصادر النزاع الذي قام في فترات مختلفة بين الدين والعلم مردها الى مسائل ليست من صميم الدين . وهي اما بقايا اوهام قديمة وإما اضافات لصقت بالدين كما يلصق بعض الصدف بقعر السفن . وقد نشأت هذه الاضافات من مساعٍ صادقة منزهة بذلها فريق من رجال الدين في سبيل استصفاء فلسفة حية ، فتغلغلت في المذاهب الدينية واندجت فيها . وعندي ان العلم أبسدى خدمة عظيمة الى الدين الصميم في فك القيود التي قيدته بها هذه الاوهام القديمة او الاضافات وأطلقت حراً نحو أغراضه العليا

ثم ان تأثير العلم في الدين وضّح للناس ان الدين قوة حية متحركة لا قوة جامدة مستقرة . ومن الأمثلة التي تضرب على الجمود والاستقرار الايمان بحرفية التوراة مثلاً وكما لها الدائم . اما الذين يعتبرون الدين قوة حية فينظرون الى التوراة على انها قصة لسعي الانسان الدائم وارتقائه المستمر في سبيل انشاء نظرة دينية الى بيئته وما فيها . فاذا نظرنا الى الدين هذه النظرة الحية زالت في الحال مفارقات عجبية غريبة ، فنفهم التحول في نظر الانسان الى الله من ارباب ثمالاً وتطرى وتتصرف بحسب وهمها ورغبتها الغالبة ، الى صورة الله الواحد الذي يسير مع الناس ويؤدبهم ثم يغفر لهم اذا تابوا وأنبأوا ، الى صورة قوة روحية عظيمة تفعل فعلها عن طريق نواميس طبيعية ، يستطيع فهمها والاعتماد عليها ، وفي الوسع كشف حقيقتها بالعلم . وهذه النظرة الحية الى الدين ترينا التطور في صور الخير والشر من مرحلة الطاعة العمياء لمجموعة من القواعد ، الى صور العدل الاجتماعي واخير العام . وفي صور الخلاص والحياة الباقية ، وانصرافها رويداً رويداً خلال الحقب ، عن الاعتبار الخاصة الى الاعتبار العامة . هذه الصورة صورة الدين الحي ، صورة القوة الروحية ، يقبلها العلم وعندي ان صورة الدين المستقر تجعل الدين عقيماً غير مقبول

وانني لأعتقد ان هناك حاجة الى تعدد المذاهب الدينية ، لأن كلاً منها يوجه عناية خاصة الى ناحية من نواحي الحياة الروحية المعقدة المتعددة النواحي . والباعث على هذا الاعتقاد مزدوج شقة الاول ان الناس يختلفون مزاجاً وخلقاً ومنهم من تحككه العاطفة

والاشغال اكثر مما يحكمه العقل . ومنهم من هو أميل الى التأمل منه الى العمل والحركة . ومنهم من يندفع بطبعه الى تحمل التبعة وتقلد الزمام بينما غيره يؤثر ان يرشد ويقاد . وإذن فمن الطبيعي ان تتعدد الكنائس والهيئات الدينية فيجد كل من هؤلاء الناس الملاذ الروحي الذي يلائمه . وأما الشق الثاني فردّه الى ان التباين يقضي الى النشاط والتقدم . وهذا مبدأ يصدق على جميع نواحي الحياة من نبات وحيوان وهيئات اجتماعية . ولذلك لا أوافق بعض من يطالب بمحو جميع المذاهب الدينية والهيئات الدينية وضمها جميعاً في مذهب واحد واخضاعها لهيئة واحدة . ولكن التعدد والتباين بين المذاهب والهيئات الدينية يقتضي التسامح المتبادل والاحترام وأساس هذا التسامح هو التشابه بل الوحدة بين الأغراض الدينية العليا التي يتوخاها كل مذهب ديني

واذا سلمنا بأن الدين يشمل النزعات والقيم الروحية ، وان العلم هو المرجع في نطاق الحقائق المشاهدة والصلات المنطقية بينها ، فيجب علينا كذلك ان نتذكر ان للعلم حدوداً في نطاقه قلما يشار اليها . فالعلم لم يكشف قط العلة الاولى ولا الغاية النهائية لشيء ما . في وسع العلماء ان يبينوا كيف يتحرك الكون ، ولكنهم لا يزعمون انهم يستطيعون ان يكشفوا علته الاولى او الباعث على تحركه أو الغاية من هذه الحركة . فاذا شاءت ديانة ما ان تشمل آراءً في هذه النواحي ، فليس في وسع العلم ان ينكرها لانها خارج نطاق العلم . ولكنني اعتقد مع ذلك انها خارج نطاق الدين وما دام اثباتها او إنكارها بالبرهان والمشاهدة متعذرين فالمسألة متروكة للتخيل والتأمل

وخلاصة القول ان تاريخ الصلة بين الدين والعلم يبين ان شؤون العالم والحياة التي تخضع للمشاهدة والامتحان تؤلف عالماً ، السيادة فيه للعلم . فالعلم لم يحل محل الدين ولا يستطيع ان يحل محل الدين في معناه الصميم . ولكنه يهيء لنا جوّاً يجب ان تساقه افكارنا في المسائل الدينية . فالعلم قد اضطر الانسان على كره الدهور ان يوسع افق نظره الى الدين بتحطيم الحواجز المصطنعة القائمة على الجهل والوهم والخرافة واتجاهه العام اذ هو الى توجيه نظر الناس الى الصفة الروحية للدين من حيث هو يمثل أرفع النمل وأسمى النزعات وصرف نظرهم عن النظريات اللاهوتية والخلافات المذهبية . وليس من يشك في ان العلم كان له أثر عظيم في نقل الاهتمام بالدين من الاهتمام بالمسائل المادية والدينيوية الى المسائل الروحية

اذن فالعلم كان ذا نصيب في تحويل الدين الى قوة روحية حية فعالة . وقد أدّى هذا النصيب بحمل الناس على تحكيم العقل في الشؤون المشاهدة ثم بالقضاء على الوهم والخرافة واخيراً بتوجيه العناية الى ان التفكير الديني يجب ان يماشى تقدم المعارف في كل ما يتعلق بنشاط الانسان واحوال بيئته وتفسيرها تفسيراً يتسق وأعلى النزعات الروحية

عصر النتروجين

به زحف الجيوش وتحارب
واليه مرده الفكر في جميع الحضارات

وصفت عصور التاريخ القديم والمتوسط والحديث اوصافاً شتى . ومعظم هذه الأوصاف مستمد من المادة التي صنعت منها الأدوات الغالبة في كل منها . فقبل عصر الظران ، وعصر الشبه ، وعصر الحديد ، وعصر الكهرية . ولكن وصف هذا العصر «عصر النتروجين» يرتد الى صفة غالبة عليه ، أبرزها العلم الحديث ، فكشفت الناس من مجارة الطبيعة والحياة في عمل الخلق . فهي أعمق أثرأ في الحضارة ، وأبعد تغلغلاً في قدرة الإنسان المتحضر ، من مجرد صنع ادواته من ظران أو شبه أو حديد أو تحريكها بالطاقة الكهرية ذلك بأنه انقضت قرون وراءها قرون وانتاج الغذاء الحيواني ، مستحيل إلا في البقاع العشوشية ، وانتاج النبات الغذائي مستحيل إلا في الأراضي التي تتصف بخصب طبيعي يجعل نمو النبات فيها متاحاً بغير عناء . ثم كشف الناس ان السماد الطبيعي وبقايا الحيوان المنحلة تزيد خصب الأرض او تسبغ الخصب على ارض قاحلة . فتعلم البشر ما للسماد من قيمة ، وجعلوا ينقلونه من مكان الى مكان ليعالجوا به الأرض الممحلة . ثم تبينوا ان نباتات العلف من الفصيلة البقلية التي تصلح لعلف المواشي تصلح كذلك لإخصاب الأرض وهيئتها للانتاج

فلم نفد الانسان الى بعض اسرار الطبيعة ، اصبحت قادراً ان يعاونها ، ومع ذلك ظلت القدرة على الانتاج مرتبطة بسخاء الطبيعة الذاتي . فلما تمكن العلماء من تثبيت النتروجين أحدثوا انقلاباً اساسياً في الحضارة . فتغير مقام الانسان على الارض من عبد خاضع لحوال الطبيعة الى سيد يستطيع ان يتحكم في نواح منها . ذلك بأن تثبيت النتروجين اتاح له في الهواء معينا لا يغيض من الأمونيا والنترات ، واذا بين يديه وسيلة لانتاج مقادير من الطعام لا تحد عند ما تنحل الاجسام العضوية ، ينطلق النتروجين الداخل في تركيب بروتينها ، غازاً حراً ويمتزج بهذا المحيط الغازي الذي يحيط بكرة الأرض . ويتحول بعضه الى أمونيا ، وهذا الغاز المركب يصبح متاحاً للنبات فيثبت به بأساليبه الخاصة مولداً منه مركبات النترات .

وما لا يستعمله النبات يتحول جانب منه الى نترات ويتاح للنبات في تراب الأرض ومائها
وإذا استثنينا بعض اصناف البكتيريا والنبات الذي في سلم النشوء ، فليس بين النباتات
جميعها ما يستطيع العيش بغير أمونيا أو نترات . وقد كان هذان المركبان ، الى عهد قريب
لا يؤخذان الا من الأجسام العضوية المنحلة ، منها ما هو حديث الانحلال كالسماد الطبيعي
ومنها ما انحل في العصور المتغلغة في القدم كنترات الشيلي . ولا يستثنى من ذلك الامقادير
يسيرة من النترات تتولد في الهواء اذ يتحد الاكسجين بالنرويجين بفعل الشرر الكهربائي ثم
تسقط على الأرض مذابة في قطرات المطر

وجميع النبات ، إلا ما كان قادراً على استعمال نرويجين الهواء مباشرة ، يحتاج الى الأمونيا
او النترات في تقويم أفعاله الحيوية . وفي أثناء نموه يولد النبات مواد دهنية ونشوية من
ثاني أكسيد الكربون الذي في الهواء ، ومواد زلالية من الأمونيا والنترات التي في التراب .
وبعض النبات يصلح غذاءً للإنسان . وبعضه للحيوان . والحيوان يحول الغذاء النباتي في جسمه
الى شحوم حيوانية ومواد نشوية وزلالية . ثم يتغذى الإنسان بالحيوان ويحول في جسمه
المركبات النروجينية الى زلايلات بشرية ويستخرج من الشحم والنشاء الطاقة التي لاغنى عنها
لنشاطه الجسماني والعقلي . أما البروتينات فتدخل في بناء العضل والعصب والمادة السنجابية
في الدماغ بل هي العضل والعصب والمادة السنجابية

وقد فاز اكتشاف طريقة تثبيت النرويجين باعجاب العالم ورفّع مقام صاحبه الاول
لأن استخراج النرويجين من الهواء وتحويله الى مركبات تدخل في تركيب السماد الكيميائي
يغني الأمم بعض الغناء او كله عن الاعتماد على استيراد مواد الغذاء ، ثم انه يدخل في تركيب
المواد الحربية المتفجرة . وفعلاً قيل ان فرتز هابر العالم اليهودي الالماني الذي كشف الطريقة
الاولى لتثبيت النرويجين في الحرب العالمية الماضية ، مكن المانيا من إطالة أمد مقاومتها بعدما
قطعت عنها موارد الغذاء ونترات الشيلي اللازمة للسماد والفرقعات بفعل الحصر البحري .
ولكن الوطنيين الاشتراكيين في تعصّبهم العنصري الأعمى نفوه من المانيا او هو أبى ان
يبقى فيها بينما أبناء جنسه يضطهدون أشد اضطهاد ومات منفيًا في بريطانيا من سنوات
من الاقوال المشهورة المنسوبة الى نبوليون « ان الجيوش تزحف على بطونها » والاشارة
واضحة في قول نبوليون ، الى زاد الجيش . وزاد الجيش مردّه في آخر الأمر في هذا العصر الى
النرويجين المثبت . وإذا كان الجيش على قول نبوليون يزحف بفعل النرويجين المثبت الداخل
في تركيب مواد الغذاء ، فانه لا يستطيع ان يحارب بغير نرويجين مثبت داخل في تركيب
المواد المتفجرة

«وَأَتَمْنَا الْمَسْرُوحَاتُ حَدِيثُ بَعْدَهُ»

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

- ١ — حضرة صاحب المعالي الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا
- ٢ — حضرة صاحبة العصمة هدى هانم شعراوي
- ٣ — حضرة صاحب العزة الدكتور طه حسين بك
- ٤ — حضرة النائب المحترم الاستاذ عباس محمود العقاد
- ٥ — حضرة الفاضلة السيدة ايمي خير
- ٦ — حضرة صاحب العزة الاستاذ الطون الجميل بك
- ٧ — حضرة صاحب العزة الدكتور منصور فهمي بك
- ٨ — حضرة الاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني
- ٩ — حضرة الاستاذ خليل مطران بك
- ١٠ — حديث مي : للاستاذ محمد عبد الغني حسن

[رَحَّبَ هَؤُلَاءِ الْأَعْلَامُ الْأَجْلَاءُ بِدَعْوَةِ الْمُقْتَنَفِ ، وَتَكْرَمُوا بِأَجَابَتِهَا ،
لِلْحَدِيثِ عَنْ (مِي) مَعَ الْأَسْتَاذِ مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْغَنِيِّ حَسَنَ الَّذِي تَفَضَّلَ فَنَابَ عَنْهُ
فِي عَمَلِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ وَإِعْدَادِهَا لِلنَّشْرِ . وَلَقَدْ كَانَ وَفَاؤُهُمْ (لَمِي) جَمِيلًا
وَتَقْدِيرُهُمْ لَهَا كَرِيمًا نَبِيلًا . فَلَعَلَّ شُكْرَنَا يَنِي بَعْضُ مَا وَجِبَ مِنْ حَقِّهِمْ ،
وَيُجْزَى بَعْضُ الْجَزَاءِ عَنْ حَسَنِ صَنِيعِهِمْ ، وَجَمِيلِ فَضْلِهِمْ — الْمُقْتَنَفِ]

حضرة صاحب المعالي الشيخ

مصطفى عبد الرازق باشا

وزير الاوقاف

لم أتكلف في الوصول الى معالي مصطفى باشا عبد الرازق مشقة او عناء . ولم أصادف في الاتصال به جهداً ولا نصيباً . فهو وزير من طراز الصدر الاول من بني العباس في سماحة الخلق ، وبشاشة الوجه ، وسجاجة النفس ، ورحابة الصدر . لا تفارق الابتسامة اللطيفة ثغره ولا يزايل التهلل والاشراق جبينه ، فهو كما قال عبيد الله بن قيس الرقيات في مصعب شهاب من الله تجلّت عن وجهه الظلماء

ولقد شرفني (المقتطف) بأن أخذ منه الحديث عن (مي) فشرّفي معاليه باستجابة الدعوة وتحديد الموعد . وكان كريماً في تفضله ، رقيقاً في تنازله ، دانياً في تواضعه ، عالياً في مجده ، فذكرني شأنه من الدنوّ والسمو بقول الشاعر :

كذاك الشمس تبعد ان تسامى ويدنو الضوء منها والشعاع

وشرفني معاليه — للمرة الثانية — بلقاء وشيك ، واستقبال سريع فاجرى على غير سجيته ومأنوس بشره ومألوف بره ، وكان في يومه خيراً من أمسه . وفي الغد بكرت في الحضور حتى يكون حظي من اللقاء اعظم ومداي من الحديث أفسح ، وهنا طال المجلس ، وامتدّ الحديث ، وأنا كثير الطمع في رحابة صدره ، واتساع آفاق حلمه ، ومعاليه يستمع الى أسئلتني عن (مي) فيجيب عنها في هدوء الفيلسوف ، وألمعية الأديب ، وتمكن العالم فما ضاق معاليه بسؤال ، ولا تعرّض لبعض الجواب وسكت عن بعض ، ولكنه كان يستوفي الاجابة في دقة ورفق وأناة ، وفي بصر بمواقع الكلام ومرامي الحديث ، وفي أناقة في اللفظ وسلامة في التعبير وسمو في التفكير

والآداب والعلم في بيت عبد الرازق ميراث الاجداد الى الأبناء ، واليهم انتهى القضاء الشرعي في البهنسا بمديرية المنيا ومن هنا تعرف الدر في احتفائهم بمن يمت الى الادب بنسب أو يتصل منه بسبب ، وإن كان بشرهم وايناسهم قد عمّ كل طبقة وامتدّ الى كل طائفة

رأيت في زيارتي الثالثة لمعالیه شيخاً في مكتبه، وقد أدناه الوزير منه وقرّب به اليه، والشيخ
يميل على جوانبه كأنه يميل على أبيه... فعرفت كيف استطاع مصطفى باشا أن يجذب القلوب،
ويأسر النفوس، ويجعل الناس مجتمعة على محبته

ومعالي مصطفى باشا عبد الرازق أديب قبل أن يكون فيلسوفاً وشاعر قبل أن يكون
كاتباً، ولقد مدح معاليه وهو فتى ناشئ الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده على احد مواقفه
بقصيدة

وتظهر شاعريته في رقة حاشيته، ولطف جانبه، وسلامة ذوقه في قيامه وقعوده وتسليمه
ووداعه، واستواء هيئته، وحسن بزمته، وفي حلاوة حديثه وعدوبة صمته...
ولعل معاليه ترك قرض الشعر من زمن بعيد وعمد الى النثر، او لعله يفضّل بشعره ان
ينشر، ولكن الذي لا شك فيه ان في معاليه من الشاعر السامي، الرقة والاحساس والشعور
وفي وجهه شاهد من الخبر....

ومعاليه كاتب من طراز رفيع، وله في كتابته سمتان احدهما دقته التي كانت نتيجة
اشتغاله بتدريس المنطق والفلسفة الاسلامية في الجامعة المصرية، والاخرى هذه الاناقة في
التعبير، وذلك الاحتفال بالاسلوب دون قصد الى تعمد او تكلف. فالاناقة طبعه، والرقة
مدحيته في شأنه كله

ولقد وقف معاليه في حفل تأبين (مي) يلقي كلمته، ويستعيد (من ذكرياته) في صوت
خاشع رزين، وفي جو تجلّله المهابة والوقار. ولقد اجتمع في اثناء كلمته وقار ذكرى مي بوقار
معاليه، والتقى جلال الموقف مع جلال الوزير، فاذا الجمع ساكت، واذا الابصار خاشعة،
واذا كلمته في القاها المترن، ووزنها المعتدل، وصدقها واخلاصها تثير في السامعين مكان
الشجن، ولواعج الحزن

ولقد تخير معاليه لكلمته في الحفل استهلالاً بارعاً، كما يتخير الشاعر في قصيدته روائع
المطالع، ما أجمل وأروع ذلك المطلع من كلمته حيث يقول (شهدنا مشرق مي وشهدنا
مغيبها، ولم يكن طويلاً عهد مي، على ان مجدها الأدبي كان طويلاً في الحياة عريضاً)

وذكرني توديع معاليه لتلك الشمس المشرقة الغاربة على قصر عهدها وصغر عمرها بالكلمة
المشهورة لفيلسوف هوجو (أيتها الشمس المتغيبية وراء الأفق؟ ان أشعتك باقية الانوار)

وهي الكلمة التي ودعت بها (مى) المرحوم الدكتور يعقوب صروف في حفل تأبينه بدار الأوبرا الملكية

ومصطفى باشا عبد الرازق بتأبينه (مياً) في حفلها، وبتسكرمه بالحديث عنها الى المقتطف يضرب أحسن الأمثلة في الوفاء ورعاية حقوق الصداقة وواجبات المودة . ومعاليه يعرف كيف يتخير الأصدقاء حتى من تلاميذه ، ويقول في مقدمة كتاب معروف ترجمه واحد منهم (اذا لم يكن لنا من تلاميذنا أصدقاء ، فليس لنا في الناس من صديق)

وسيرة مصطفى باشا عبد الرازق تتعطر بها المجالس وهي تمتاز الى الجانب الخلفي الرفيع منها بجانب الدأب والتحصيل والاطلاع الدائم المتصل ، وقد اشار الى مكان معاليه في النهضة التجديدية الحديثة الدكتور تشارلز آدمز مؤلف كتاب (الاسلام والتجديد في مصر) وذكر طرفاً من ترجمته وآثاره

بدأ حياته نابهاً ألعياً ، وبلغ اليوم ما نرجو له مزيد الخير فيه ، فلقد بلغ السماء مجده وجدوده ، وإنا لنرجو له فوق ذلك مظهراً

١ - سألت معاليه : (كيف نشأت الصلة بين معاليكم وبين « مى » ، وما رأيكم في ناديها الادبي وإدارتها الحديث فيه ؟)

فأجاب معاليه : رأيته أول مرة في حفلة « بالسكوتنتال » للاحتفال بمرور خمسة وعشرين عاماً على إنشاء مطبعة المعارف . والواقع ان الزمن أنساني كيف نشأت الصلة ، ولكن الذي لا يُنسَى أنني بعد هذا كنت من المترددين على ناديها الادبي . والحق ان « مياً » لم تكن تغشى الحفلات الاجتماعية والأندية كثيراً ، فكان الاجتماع للتصلين بها في ناديها الخاص الذي جعلته في بيتها ، وكان المجتمعون يستطيعون ان يقدروا جميع مواهبها الأدبية والخلقية . أما من الناحية الأدبية الفنية فلا أنها كانت هي التي تتولى إدارة الحديث في الجمع وكان تنوع الأحاديث وسموها وسلامتها من كل ما لا يخلص منه عادةً الجامع يدل على مقدار كفايتها الادبية ، وقيمتها الاخلاقية

وكانت « مى » تدير الحديث ولكن من غير ان تظهر بمظهر التزعمة في النادي ، او المتصدرة في الحفل مما يدل على ناحية من نواحيها الخلقية الجميلة

٢ - فسألت معاليه : (ما رأي معاليكم في تحصيل مى للعلوم ، و اكسابها على

الدرس و غيرها بالمطالعة ؟)

فأجاب معاليه : أظن ان أحداً ممن عرف الآنسة « مي » لا يشك في أنها كانت متنوعة الثقافة ، و أنها كانت مشغوفة بالتحصيل والاستفادة والمطالعة وكانت دراستها — فيما أعتقد — دراسات أدبية . أعني أنها تذهب الى ناحية التفكير الأدبي او الاجتماعي او الاخلاقي من غير ان تنزع الى نزعة التخصص التي تدعو الى الدخول في معضلات المسائل العالية او في استعمال الاساليب الفنية في التعبير . وليس هذا الذي ذكرت غضاً من قيمة « مي » العلمية ، لأنه اذا كان أثر العلماء المتخصصين أثراً كبيراً في ترقية الفكر الانساني ، و ترقية الحضارة الانسانية ، فان أثر العلماء المتأدين في ترقية الفكر الانساني وفي ترقية الحضارة ليس أقل شأنًا ولعل الافكار والابحاث العلمية التي لها صبغتها الفنية لا تصل الى دور العمل ودور النفوذ الى عقول الشعوب وقلوبها الا بوساطة الادب

٣ - فسألت معاليه : (ماذا كانت لغة الحديث عند (مى) في نديها وفي خلال

مناقشاتنا ؟)

فأجاب معاليه : أما حديث « مي » الغالب فكان باللغة العربية ، وكان بالعربية الفصحى ومع تأنيق (مي) في شأنها كله ، وفي حديثها على الخصوص ، فلها كانت تصل الى جعل اللغة العربية الفصحى لغة حديث في مجمع راقٍ ليس كل شاهديه من أنصار العربية الفصحى ، من غير ان يشمر أحد من سامعيها بأن حديثها أقل سلاسة او أظهر تكلفاً من حديث المتكلمين باللغة العربية العادية او المتكلمين بأي لغة من اللغات الحية الراقية

وأظن ان ميًا خدمت بهذه الناحية من نواحيها اللغة العربية خدمة كبيرة ، لأنه اذا كانت الجرائد والمجلات أعانت على التوفيق بين منازع الراغبين في استعمال اللغة العربية بأساليبها الموروثة وبين منازع الراغبين في استعمال اللغة العامية ، او ما يشبه اللغة العامية ، فان ميًا أسدت هذه الخدمة نفسها الى اللغة العربية في ناحية لا تصل اليها الجرائد ، وهي ناحية التخاطب والتحاور . فكما أسدت الصحف والمجلات خدمة التوفيق بين هذه المنازع عن طريق الكتابة ، فان (ميًا) أدتها عن طريق الحديث والمخاطبة

٤ - فسألت معاليه (ما رأيكم في الكآبة التي استولت حيناً على مى ؟ هل

كانت أصلاً فيها أم طارئة عليها ؟ وهل ساعد تفكيرها العميق على أسعافها في أحزانها أو أسعادها ؟

فأجاب معاليه في إيجاز : لا أعتقد أن ميًّا كانت بأصل فطرتها كئيبة ، وقد يكون مجهودها العقلي أعان الظروف السيئة التي صادفتها في سنها الأخيرة على ما جد لها من كآبة وحزن

٥ - فسألت معاليه (ما أحب كتب « مي » أو آثارها القلمية الى معاليكم ولماذا ؟)

فأجاب معاليه : لعلني لم أسأل نفسي هذا السؤال قبل اليوم ! ولكن في حفل تأبينها سمعنا قطعة من قطع (مي) الأدبية ألقته فتاة لها صوت « مي » فخل إلي ساعتي إذ هذه القطعة هي أحب ما كتبت « مي » الى نفسي

٦ - فسألت معاليه : (هل كانت « مي » من المحافظات على التقاليد ، المتمسكات بموروث العادات ؟ وما سر ذلك الحفاظ منها على الرغم من تشبعها بالثقافة الغربية ؟)

فأجاب معاليه : اذا كانت المحافظة على التقاليد درجات ، فان « ميًّا » لم تكن في طرفها ، وأعني أنها لم تكن في اول حدود المحافظة ولا في نهاية حدودها . ولعلنا - في جيلنا - لم نكن نرى « ميًّا » من المحافظات ، ولكن معاني المحافظة والتجديد تتغير وتتغير بسرعة ، ولعل ما كان معتبراً من التجديد في اوائل هذا القرن أصبح في أيامنا هذه يعتبر محافظة . وقد أصبحت خطوات الزمن أسرع من خطوات المفكرين الذين يطلبون التجديد عن روية وأناة « في » كانت مجددة في حكم الرأي العام لأول عهدها ، ثم تطورت الظروف بأسرع مما تطورت مي ، لأن « ميًّا » كانت مفكرة ، وما أظن الظروف تراعي في تطوراتها تفكيراً

٧ - فسألت معاليه : (لقد دافعت مي عن الاسلام وديمقراطيته في كتابها (المساواة) . فهل درست مي شيئاً عن روح الاسلام وحقيقته وفلسفته ؟ واذا كان ذلك فمن كان معلمها ؟)

فأجاب معاليه : ما اظن ان ميّا كانت تجهل من الاسلام ما يجب على أديب مثقف أن يعرفه من شؤون دين له في تاريخ الفكر البشري ، والحياة الأدبية في البشر ما للاسلام ولم تكن (مي) متعصبة لدين ، ولكنها كانت متدينة ، ولم تمسّ نزعات الفكر الحر المرفقة أحياناً — التي كانت تحيط بها — صميم ايمانها

٨ — فسألت معاليه : (لا مجال بالطبع للمفاضلة بين عائشة التيمورية وباحثة البادية والآنسة ميّ ولكنني أسأل معاليكم عن رأيكم اجمالاً في اثر هؤلاء الكواكب والشواعر في الأدب العربي)

فأجاب معاليه : الواقع ان اعتبار ظروف الزمن والأحوال الاجتماعية المحيطة بالاشخاص له أثر كبير في تقدير قيمتهم ووزن أثرهم في الجماعة أو في الأدب فالزمن الذي نشأت فيه عائشة التيمورية باعتبار المستوى العلمي والأدبي لم يكن مستعداً لأن ينشئ أدبية كميّ ، ولم يكن مسعداً لأن يحتمل نزعة من نزعات النهوض النسائي كالنزعة التي أوجدها باحثة البادية ، او النزعة التي أوجدها «مي» فاذا كانت «مي» أوسع ثقافة أو أكبر مظهرأ في الحياة الادبية من سابقتها فينبغي ألا ينسى عند الحكم في ذلك انه يرجع الى اختلاف التطورات واختلاف البيئات ، بل اختلاف الحياة كلها في هذه الأجيال الثلاثة التي تمثلها الأدبيات الثلاث

٩ — فسألت معاليه : (ما أثر الآداب الافرنجية في الآنسة مي وفي طريقة كتابتها؟)

فأجاب معاليه : للآداب الافرنجية من غير شك أثر ظاهر في اسلوب ميّ وفي طريقة معالجتها للموضوعات التي عالجتها . ولعلّ أثر الآداب الاوربية الذي وصل الى ميّ من طريق الكتاب السوريين في أميركا — كتاب المهجر — لا يقل عن أثر مطالعتها للآداب الأوروبية ذاتها . ولميّ ومن يحدوحدوها من الأدبيات والأدباء مذهب في الكتابة العربية لا يزال حيّاً يزاحم في ميدان التنافس بين الاساليب الجديدة التي يلتمس كل واحد منها النصر في سبيل التغالب . والله أعلم لايمها يكون النصر ومن يدري ؟ فقد يكون للحرب القائمة ونتيجتها أثر حتى في أساليب التفاهم بين الناس

حضرة صاحبة العصمة السيدة الجليلة

هدى هانم شعر اوى

رئيسة الاتحاد النسائى

السيدة هدى هانم شعر اوى هى زعيمة « الاتحاد النسائى » ، ومثال راقٍ للمرأة المصرية المثقفة ، الموزع قلبها بين يدٍ تسديها او صنعة تقدمها او بر تدخره عند الله سمعتها تفتتح حفل تأبين « مي » وعليها هالة من وقار ، وسمات من كرامة تحتد وعراقة أصل ، وفيها ثقة واعتداد ، واطمئنان واعتزاز . وكان الحزن يبدو في نبرات صوتها وقسمات وجهها ، ومن خلال سطور كلماتها . وكانت تروح على مسرح الحفل وتغدو ، وتقوم وتقعدها ، لأن نظام الاجتماع كان موكولاً اليها ، ونجاح الحفل كان مرده الى فضل نشاطها وحسن تنظيمها وبلغ تأبين مي في دار « الاتحاد النسائى » غاية النجاح ، وانتهى الحفل ، وطوي البساط وانفض الجمع الحاشد الذي وفد لسمع الانسانية تؤبن « مي » الانسانية ، ويرى رياض الأدب تبكي على « مي » الزهرة ، وليشارك في الوفاء لفتاة كان من طبيعتها الوفاء لشرقيتها وجنسها ووطنها . وجيل من هدى شعر اوى ان يخص « مي » بتكريمها بعد موتها كما كرمتها في حياتها . فان عصمتها أولى الناس بتقدير العلامات وتكريم النباهات

ولقد سمعتها بعد الحفل تتحدث الى الدكتور طه حسين بك في شأن فتاة تساعدوا عصمتها على اتمام تعليمها ، وتغنيها على تحقيق آمالها . ويظهر ان هذه الفتاة واسعة الآمال ، عريضة الأماني . وكنت أستشف من كلام عصمتها الى « مراقب الثقافة بوزارة المعارف » معاني الرحمة التي طبعت عليها ، وألمس في كلماتها الرحمة القوية ، عطف المرأة في جنباتها ووجدانها ، وقوة المرأة في اعتقادها وإيمانها... ومن عجب ان السيدة « هدى » التي تعين الفتيات على التعليم ، وتمد يدهن بأسباب دخول المدارس والانتظام في المعاهد — لم تدخل مدرسة في حياتها ، ولم تتعلم في معهد... بل انتقلت المدارس اليها في قصر أبيها ، وجاءها المدرسون والمدرسات في معاهد طفولتها ومراتع صباها...

ومن أول أعمال هدى في سبيل البر اشتراكها في مبرة محمد علي التي دعت اليها الأميرة عين الحياة زوجة الأمير حسين كامل ، تلك المبرة التي نجحت وما زالت ناجحة الى يومنا هذا

وهي أول مصرية نادت بالسفور عملياً، وتركت المحاجين يتناظرون، والمجادلين يتناقشون، وزعت البرقع في صيف سنة ١٩٢٠ بعد ان عادت من تمثيل مصر في مؤتمر الاتحاد النسائي برومة، وكان ذلك آخر عهدا بالحجاب

ونشاط صاحبة العصمة في سبيل المرأة المصرية، وفي سبيل البر والاحسان، لا يقف عند غاية، ولا ينتهي عند أمد. فرأست «جمعية المرأة الجديدة» التي أسستها بعض الملمات سنة ١٩٢٠. وأسست في سنة ١٩٢٤ «الاتحاد النسائي» وهو نادٍ ومدرسة ومشغل. وتقيم من حين الى حين سوقاً خيرية لمشغل الاتحاد، وهي سوق ناجحة راجحة

والسيدة «هدى» تعطي ولا تتحدث، وتحسن ولا تتكلم، وتتصدق ولا تمن، لأن الاحسان فيها لله لا لغرض، والمعروف فيها للمعروف لا لوجه آخر... تبرعت مرة بمبلغ الف جنيه «للرأة الجديدة» ولم تذكر منه شيئاً، وتبرع غير ذلك بالمئات وعشراتهما، فلا تتحدث عن نفسها ولكنها لا تستطيع ان تجعل الناس لا يتحدثون عنها... فلا قيمة عندها للمال، ولكنها العمل الصالح يربي على الاعمال، ويزيد على كل مال

بعد انتهاء حفل مي بأيام، كنت عند صديقي وأستاذي أنطون بك الجميل في مساء عاصف فيه من الحرب أنباء وأخبار... واذا به يريني رسالة من هدى هانم شعراوي تشكر له اشتراكه بجهده ووقته في حفل تأبين مي. واذا به يقول: — لست أدري يا أخي أينما أحق بالشكر وأجدر بالثناء؟

فهدي شعراوي لم تر فيما صنعتها هي ما يستحق شكراً او يستوجب ثناءً، وهذا مثل منها في الانكار والايثار. ولكن عصمتها نسيت أنها خلعت من جلال شخصيتها، ومعروف مكانتها على حفل «مي» ما أفاض عليه الجلال والوقار

فبدت «مي» في هذا الاحتفال في جلال الموت، وخشوع الذكري، وسواد الأطار، كما كانت تبدو في أدبها وكتبها ونديتها فرحة القلوب وبهجة الأنظار

١— سألتها: (كيف عرفت ميًا. وما أولى ذكرياتك عن مقابلتك الاولى

لها، وما الاثر الذي تركته في نفس عصمتك؟)

فأجابت: ترجع معرفتي بمي الى ما يزيد على خمس وعشرين سنة، وهي حقبة طويلة من العمر وفسحة مديدة من الزمن كما ترى، الا أنها قصيرة بالقياس الى مي، والورود دائماً قصيرة

الأعمار، قليلة الآجال ، وهل كانت ميّ الأَّ ورده ناضرة مملوءة بكل معاني الحياة والقوة .
وهل كانت ميّ الأَّ زهرة من تلك الازهار الجميلة التي تتفتح ساعات أو أياماً في روض الحياة
ثم لا تلبث أن يعاجلها الذبول، أو كوكباً متألّقاً في سماء الدنيا ساعة ثم يدركه الأفول ؟

ترجع معرفتي بمي — بالضبط — الى شهر ابريل من سنة ١٩١٤ . فقد كنا في ذلك الحين
ننظم سلسلة من المحاضرات للسيدات في الجامعة المصرية القديمة
وكان يختلف الى بهو المحاضرات عدد مختلف من كرام الاوانس وفضليات السيدات ،
دفعهن الشوق الى العلم ، ورمى بهنّ الينا التوق الى المعرفة والثقافة . وقادهنّ مصباح من
الأمل ... ذلك الأمل الذي كان يختلج في صدر المرأة المصرية في إبان حركتها وفي مستقبل
نهضتها

وبينا أنا في سبيلي الى مغادرة بهو المحاضرات بعد لقاء المحاضرة اذا بعيني تقع على فتاة
تميزها من بين ذلك الجمع النسوي حركات رشيقة ، وروح لطيفة خفيفة ، وينبعث من عينيها
السوداوين أشعة قوية من ذكاء خارق، وألمعية حادة ، وفطنة نادرة
وتجتمع هذه الخايل كلها في وجه جملة الله بصباحة خاصة ، وسمّة متميزة ، وميزه
بأساير مشرقة عن ابتسامات عذاب ، كابتسامة الزهرة للشمس والماء والهواء في فصل
الربيع ...

رأيت هذه الفتاة تقترب مني قليلاً ، وتقد صوبي وتستوقفي قائلةً (سيدتي هدى : أنا
معجبة بمشروعك مقدرة لما تبذلينه من جهد . لذلك أضع نفسي تحت تصرفك . ولا تظني
يا سيدتي أنني صغيرة لا أستطيع المعاونة او لا اقدر على المساعدة ... أنا كاتبة وشاعرة .
أنا أكتب في الصحف وأنشر في المجلات . أنا « مي » ولا أظنك يا سيدتي إلا قرأت شيئاً
مما كتبت . ألا تعرفيني ??)

وكانت هذه الكلمات الصريحة المملوءة بالشجاعة الأدبية والاعتداد بالنفس والثقة
بالشخصية ، والتي تم في الوقت نفسه على روح مفعمة بالنية الخالصة والقصد الحسن — كانت
باعثي على ان اضم تلك الفتاة الى صدري ، وان أقبلها قبله الإعجاب بها والرضى عن نبل مقصدها
وشرف غايتها

وأبدت لتلك الفتاة التي عرضت نفسها لخدمة غرضنا النبيل إعجابي بمعرفتها وسروري

برؤيتها واغناطي بانضمامها الى صفوف حركتنا كاتبة بقلمها ، وموحية بفكرها ، وملهمة بشاعريتها ...

ولم يمنعني صغر سنها وحداثة عمرها من ان أرحب بانضمامها اليها ، ومن أن أتوقع منها الجهد الكبير والعمل العظيم . وهل يمنع السن الصغير فضلاً ، او تحجب الحدأة حلاًماً ونبلاً ؟ ألم يقل المتنبي الشاعر

فما الحدأة من حلم بمناعة قد يظهر الحلم في الشبان والشيب
ثم ألم يقل الشاعر الآخر

ورب صغير لاحظته عناية من الله فاحتاجت اليه الأكار

٢ - فسألت عصمتها : (ما النواحي الجميلة التي كانت تعجبك من الفتاة مي والمميزات في الخلق وفي الخلق التي امتازت بها ؟)

فكان الجواب : لقد رأيت في مي انساناً غير عادي ، لقد حباها الله — وهو واسع الفضل — بعقل كبير ، ولكن قلبها كان أكبر من عقلها . فقد كان ذلك القلب يتسع لمعان شتى من الرحمة والعطف والحنان . وكانت مي عالية النفس ، فما عرفتها تدنت الى دنية او تنزلت الى سفل . وكانت واسعة آفاق التفكير فما عرفتها وقفت عند حد محدود . وكانت بعيدة الادراك فما رأيت منها قصوراً فيه . ومع تلك الصفات المحبوبة ، والمزايا الموهوبة كانت بعيدة عن الغرور ، منزهة عن الانخداع ، فما عرفتها زهيت بعلم او تاهت بذكاء او دلت بتفكير . ولكنها كانت تعرف قدر نفسها في تواضع جميل ، وبساطة محبوبة . ولم تكن مي على وسامتها ووضاحة وجهها جميلة بالمعنى الصحيح للجمال ، ولكن نفسها كانت أجمل من وجهها ، وروحها أجمل من صورتها . فكانت بين الجميلات لا تبدو أقل منهن فتنة ولا أضال نصيباً من الجاذبية . لقد كان يجمع ميّاً بين الجميلات ، ويزينها بينهن شيئاً خفي وسراً مستبهم لعله هو الذي حير الشاعر فقال : —

شيء به فتن الوري غير الذي يدعى الجمال ولست أدري ما هو

وليس في الأمر عندي سرّ مستغلق ولا خفي مبهم ، فسر جمال مي كان في روحها والجمال المعنوي الروحي هو ضرب من الجمال يسمو على كل جمال

٣ - فسألتها : (هل صرفت الثقافة الأوروبية والحضارة الغربية ميّاً عن الأمثلة

الشرقية العالية، وهل اندفعت مي في تيار المحدثين تذهب مذاهبهم في التمسك بكل ما هو غربي، والتنصل مما هو شرقي ؟

فكان جواب عصمتها : لقد وجدت في مي من الاعتصام بالشرق والحفاظ على الشرقية ما يجعلني أذكر مع الفخر أنها كانت المثل الأعلى للفئة الشرقية الراقية المثقفة . لقد نهلت مي حقاً من موارد الغرب ووردت حياضه وأخذت كثيراً من طرائقه واتجاهاته ، ولكن ذلك كله لم ينسها حق أهلها وفرض وطنها — وقد كان الشرق كله لها وطناً — فما أضاعت عادات أهلها ، ولا احتقرت تقاليد قومها ، ولا فنيت في الغرب كما يفنى فيه المستضعفون . لقد كانت مي معترزة بقوميتها ، مفتخرة بنسبتها ، متمكنة من لغتها العربية فاهمة للكثير من دقائقها وأسرار جمالها وكانت محافظة كل الحفاظ على شخصيتها الشرقية فما ضيعتها أو نزلت عنها أو لبست ثياباً غيرها لا توائمتها . وكانت عقائد قومها محل احترامها وموضع إكرامها ، فما غمزت أو لمزت على نحو ما يفعل الغامزون اللامزون . ولكنها كانت تتألم لعيوب الشرق ، وتبكي على ضعفه المادي وتتمنى أن يتاح له من القوة المادية ما يكمل به سمو روحانيته

٤ — فسألتها : (ما رأي عصمتك في طريقة مي في كتابتها وتفكيرها)

فأجابت : كانت في مي دقة امتازت بها كتابتها ، واختص بها أسلوبها . ولم تكن أبحاثها مبتسرة ، ولا موضوعاتها مرتجلة ، ولكنها كانت وليدة البحث ، ونتيجة التحصيل . تكتب مي فترى الدقة في كتابتها والضبط في تعبيرها ، وتحاضر مي فلا تراها مسرفة في التعبير أو مبذرة في الالفاظ . ولعل دراستها للغات الأجنبية قد مكنت لها من اسباب التدقيق والتحصيل

وكانت هذه الصفة من الدقة لا تفارق ميّاً في أي موضوع طرقت أو بحث عالجته ، حتى في كتاباتها العاطفية الخيالية ، فلم يكن خيالها شارداً تائهاً ، ولم تكن أحلامها في سبيل الشرق أو هاماً بل كانت تبني غالباً على أفكار دقيقة وآراء ممحصّة

٥ — فسألت عصمتها : (ما الآثار التي تركتها مي في الحركة النسائية

في مصر)

ففضلت بالجواب قائلة : لما عرضت مي عليّ خدمتها لحركتنا سنة ١٩١٤ رحبت بها لما

لمحتة فيها من الصدق ، وتبينته في كلامها من الاخلاص . وقد طابق فعلها — بعدئذ — قولها ، وصدق عملها حديثها . فلقد انضمت الى صفوفنا متواضعة الاخلاق ، قوية الروح عميقة التفكير ، وكانت تدهشنا جميعاً بالذكاء الحاد المتفجر من كل اشارة من اشاراتها ، او خلجة من خلجاتها ، او نبرة من نبراتها . وكان أكثر ما يدهشنا منها سمو روحها ودقة احساسها . فلقد كانت مي تتأثر لكل شيء ، وتحس بكل شيء . وكنت أخشى على المسكينة من اجتماع هذه المميزات فيها . نعم كنت أخشى ان يجني عليها ذكاؤها ، او يقتلها نبوغها ألم يقل الشاعر « ذكاء المرء محسوب عليه »

نعم كنت أفرح من ان تصطحب عليها هذي القوى الجبارة العنيفة التي كان قلبها وروحها وجسمها موزعة بينها ، وأخشى ان تهدها تلك القوى هداً ، وتدهكها دكاً ، وتحطمها تحطيماً

لقد انضمت مي الينا عاملة مجاهدة ، تسبق الصفوف وفي يدها قلمها ، وبين حناياها قلبها وفي القمة منها رأسها وتفكيرها ، ولكن أفقنا المحدود في الجهاد ضاق أمام عينيها البعيدتين في مراميها وفي مداها . وعالمنا المحدود في حركتنا النسوية عجز عن أن يتسع لاصلاحها وآمالها وأدبها وشاعريتها ، فاتجهت الى ميادين الأدب والاجتماع يدفعها نبوغ خاص وعبقريّة نادرة ، يهيء لها ذلك استعداد فطري حبها به الطبيعة ، فاهتزت لها أعواد المنابر خطيبة بارعة ومحاضرة لبقّة . وعطرت كل نادٍ بشذا من أحاديثها . وتركت حينما حلت أثراً طيباً . وأخذت مي الكاتبة تنهمر كتاباتها في الصحف وتتدفق خطبها على المنابر ، وتتوالى كتبها في سوق الادب مترجمة مرة ، ومؤلفة أخرى . ولم تغفل مي حق جنسها ، وفرض اخواتها ، فكان للمرأة من أبحاثها الأدبية نصيب ، ولعل دراستها العميقة الممتعة ، المملوءة بكثير من التقصي والدقة عن وردة اليازجي ، وعائشة التيمورية ، وباحثة البادية (ملك حفني ناصف) لعل تلك الدراسات التي نشرت في المقتطف وطبع بعضها مستقلاً في كتاب هي مظهر من مظاهر وفاء مي لبنات جنسها ، وحرصها على اظهار فضيلن أبنائها وجد . على أن مكان مي « الفتاة » في الادب ومحلها في الكتابة والتأليف لما يعلي شأن المرأة الشرقية عامة والمصرية خاصة . فهو مكان رفيع تغتبط به حركتنا النسائية وتعدّه دليلاً آخر ساطعاً على مكان المرأة

فلم يكن مجد مي لها وحدها ، ولم تكن شهرتها خاصة بها ولكنها مجد تقتخر به المرأة الشرقية ، وشهرة تتمتع بها كل ناطقة باللغة العربية

٦ - فسألت عصمتها : (كانت مي تميل الى الاحزان في كتابتها ويبدو ذلك في مقدمة كتابها الذي ترجمته عن الالمانية لفردريك مكس مولر . فهل كان الحزن طبيعة فيها أم عارضاً عليها ؟)

فأجابت : لقد عرفت مباً في ريعان شبابها وإبان نشاطها ، عرفتها والقوى الجبارة تتنازع جسدها وقلبها وروحها . وكنت دائماً قلقة عليها - خائفة أن تعصف بها تلك القوى العنيفة فتذبلها قبل أوانها ، أو تقضي عليها قبل حينها . وكنت أخشى أن هذه القوى الموهبة للصم الصلاب قد تؤثر في نفس مي اسوأ الأثر اذا ما رماها الزمان بنكية ، او ابتلاها بمحنة . وقد كان ذلك . فقد أصيبت مي بفقد والديها وكان فقدهما تبعاً - كأنهما كانا على ميعاد قريب - فتأثرت أبلغ التأثر ، واستسلمت الى الاحزان تظني عليها وللهوم تأكل قلبها ولللام المضنية المبرحة تعصف بها في كل لحظة وتلازمها في كل خطوة

وآثرت مي الاجتماعية المحبة للناس المتحدثة الى الجماهير ، أن تركز الى العزلة تجد فيها عزاءها ، وتستسلم الى الوحدة تلتهمس فيها راحتها

واستأنست مي بوحشتها ، واجتمعت مي بوحدتها وعزلتها وكانت فذة في أحزانها ، غريبة في همومها وآلامها كما كانت فذة في عبقريتها وبين بنات جنسها وظلت كذلك في هموم مقيمة مقعدة ووساوس باقية ثابتة ، تخاف من الهمس ، وتتفرع من الشبح ، وتُدعّر من الانس حتى طغت عليها الاحزان ، واصطلحت عليها العلل - العلل القاسية المبرحة - علل العقل والجسد - ووقفت القوة التي كانت تمددها بالحوية ، وجفت الينابيع التي كانت تغذيها بالماء ، وأظلمت الافاق التي كانت تشع امام عينيها السوداوين النور والبهجة والضياء

وصارت كالزهرة لا شمس ولا ماء ، ولا ضوء ولا هواء فذبلت وكان ذبولها أليماً ، وتساقطت اوراقها ورقة اثر ورقة

ولكن شذا الزهرة ما يزال متضوئاً وأريج الزهرة ما يزال عبقاً وسيظل المثقفون والمؤدبون ، والكاتبون والفكرون يذكرون تلك الزهرة التي عوجلت قبل الاوان . وخطفت قبل الحين . فاذا مروا بروضة من رياض الفكر ، أو حقل من حقول الأدب ، تعرفوا على مكان هذه الزهرة وقالوا (هنا مكان زهرة ذابلة ولكنها ما تزال فواحة الأريج)

حضرة صاحب العزة

الدكتور طه حسين بك

مراقب الثقافة العامة

في حفل تأبين مي وقف رجل متزن الخطوة ، هادىء الوقفة ، يبدو على ملامح وجهه آثار حزن عميق وألم دفين

وقف هذا الرجل ، وكثيراً ما سمعناه على المنابر محاضراً من طراز رفيع ، وغرار عال ، وقف تلك الليلة من مساء ٤ ديسمبر يستهل الكلام بشعر عربي رصين لم يكن هذا الشعر شعره ، ولم يكن الرجل في تلك الليلة إلا راوياً أبياتاً أعجبت من ذي الرمة ، فراح يلقيها في أداء حسن ، والقاء متتد ، يخرج الحروف مخارجها ، ويعطي الكلمات قيمها . وقف هذا الرجل ينشد هذه الأبيات :

خليلي عداً حاجتي من هواكما ومن ذا يواسي النفس إلا خليلها ؟
ألمبا بمي قبل أن تطرح النوى بنا مطرحاً أو قبل بسين يزيلها
فإلا يكن إلا تعلق ساعة قليلاً فاني نافع لي قليلها

وكثير من السامعين لم يعلموا أن هذه الأبيات لذي الرمة الشاعر الأموي ، وكثير منهم ظن ان الدكتور طه حسين انقلب شاعراً بعد أن رسخت في النثر قدمه وعلت في الكتابة مكانته ولكن قليلاً من هؤلاء السامعين أدرك أن طه حسين ينشد هذه الأبيات الثلاثة في

حفل مي ابنة القرن العشرين ، وهي أبيات قيلت في مي ابنة العصر الاموي وقف الدكتور طه حسين في حفل تأبين مي يستعرض ماضياً جميلاً طويلاً ، حافلاً بنفيس الصور ، وبديع الآثار

وقف يصف كيف عرفها في الجامعة القديمة سنة ١٩١٣ حينما وقفت تعقب على كلمة أرسلها الشاعر الناثر جبران خليل جبران من نيويورك لتكريم الشاعر خليل بك مطران وقف يصفها في اقبالها على العلم وإكبابها على الدرس ، والخاصها على طلب المعرفة من مظانها ، والحكمة من مواضعها

واعتذر الدكتور عن مجانبة التفصيل في الحديث عن مي يوم تأبينها لأن ذلك يقتضي درساً لم تهياً له هذه الاجتماعات التأبينية والحفلات التذكارية التي يراد بها الوفاء والتذكر ، وارسال التحيات من القلوب المخلصة لتصل الى النفس المخلصة

ولقد كان الدكتور جميلاً في وفائه لمي ، نبيلاً في اخلاصه ، وكان منصفاً لها حين سجل حسنتين من حسناتها وأشار بنوع خاص الى أثرها في حياتنا الادبية : الاولى منتداهما الذي كان ملتقى المثقفين ومجتمع المفكرين من أهل مصر وسوريا ، ومن أهل الشرق والغرب ، ومن رجال العلم والأدب . والثانية تأثرها بالمحاضرة التي القاها احمد لطفي السيد باشا في نادي المدارس العليا عن أبي العلاء وأخذها موضوع المحاضرة على انه موضوع جدير بالتفكير وختم الدكتور طه حسين كلمته في تأييد مي بالابيات التي افتتحها بها ، وكرّر البيت الأخير مرة ثالثة وهو

فالأ يـكن إلاّ تعلل ساعة قليلاً فأني نافع لي قليلاً

..... وانتهى حفل مي ، وانصرف الناس بعدما أدوا واجب الوفاء لفتاة كان من طبعها الوفاء لوطنها ولغتها وجنسها ، وانتقلوا من جوّ كان يسوده الجلال وتخيّم عليه الرهبة ، ويغشيه السكون الى جو امتلاء بالمناقشة والمجادلة . أي الخطباء أجاد ، وأي الشعراء أصاب ، وأي النواحي من حياة مي أغفلت ، وأي المسائل أهملت

وتقدّمت من الدكتور أصاخه باليد ، وأحبيه باسم المقتطف ، وأذكر له اسمي ولا أعرف ان كان له ذا كراً أم ناسياً ؟ فالقى منه اللقاء الجميل ، والرد الجميل ، ويتفضل باجابة دعوة «المقتطف» الى الحديث ولكن يؤجله الى يوم يقل فيه الشغل ، ويتسع فيه الوقت وتواتي فيه أسباب الحديث

ويجلس الدكتور طه حسين بك في قاعة من قاعات الاتحاد النسائي ليستمع الى حديث من السيدة الجليلة هدى شعراوي ، ويجلس بجانبه خليل بك مطران وبعض السيدات ، وأتخذ مكاني قريباً منهم لأسمع صوت طه حسين من قريب كما سمعته «من بعيد»

ليست صناعة الاحاديث مع الرجال — وخاصة كبارهم وأهل المسكنة منهم — عملاً هيناً او أمراً يسيراً ، ولقد شرفتنى «المقتطف» بانابتي عنها في الحديث مع لفيف من أهل الأدب والفضل ممن كانت لهم بميّ صلات وذكريات

وليست ظروف التحدث مهينة في كل وقت وفق رغبة الراغب ، وأمل الطالب ، فهناك قد تكون المشاغل والشواغل ، وهناك ايضاً قد تكون العقبات والحوائل

ولكن مشاغل الدكتور طه حسين لم تمنعه من التفضل بالحديث في الوقت الملائم وأسلوب الدكتور طه حسين — سواء أمتحدثاً كان أم كاتباً — هو أسلوب السلاسة واليسر فلا يتكلف لفظاً ، ولا يتصنع عبارة ، ولكنه يجري على نحو من السهولة يظن القارىء أو

السامع انه مستطيعها، وينتهي الى غاية من السلاسة يحيل الى من يراها انه مدرکها ، فاذا دون ذلك احوال

والدكتور طه حسين يتأني على كل قيد ، ويمتنع على كل ارادة غير ارادته وضعت له بضعة أسئلة تجلي بعض الغوامض من حياة مي ، وتفصل بعض ما أجله القائلون عنها ، فلم ترقه طريقة السؤال والجواب وآثر عليها طريقة الحديث المرسل والكلام المطلق وهو في هذا يشبه خليل بك مطران الذي لم يلتفت الى استملي المسئلة ، وآثر ان يسمعي في ساعة وبعض ساعة حديثاً عن مي الشاعرة لم أقطع عليه يسؤال ما كان الدكتور طه حسين من المعجبين بمي المترددين على « صالونها » وله في هذا « الصالون » زكريات سيتحدث عنها فيما يلي من القول

وكان الدكتور يعجبه من هذا « الصالون » اتساعه لمذاهب القول واشتات الكلام وفنون الأدب ، ويعجبه منه أنه مكان للحديث بكل لسان ومنتدى للكلام في كل علم ، وملتقى لطوائف من غير تفريق . فلا تعالي بينهم ، ولا اختلاف فيهم ، بل هم أهل ندوة واحدة ألفهم الأدب ووثقت بينهم المعرفة وجمعتهم الحسنة يغدون ويسرون في أخاء تالد ، على اختلاف مذاهبهم وتباين مشاربهم ، وتفاوت مراتبهم . فهم كما قال أبو تمام

إن يكدم مطرف الأخاء فإننا نغدو ونسرح في أخاء تالد
أو يختلف ماء الوصال فإؤنا عذب تحدر من غمام واحد
أو يفترق نسب يؤلف بيننا نسب أقنناه مقام الوالد

وكان أشد ما يغتبط له الدكتور طه حسين أنه وجد الطريق الى منتدى مي ميسوراً ، لم تحفه الأشواك ، ولم تدب من اجله الأقدام ... وصل اليه وهو طالب في الجامعة القديمة لم تنعقد له ألوية الشهرة . ولم تثبت له بعد منزلة الأديب . وفي هذا الحديث الممتع الذي تفضل به على « المقتطف » صور من حياة مي بعضها بهيج ، وبعضها مؤلم حزين ولكن ميًا قد ماتت كما ماتت سميتها الأموية من قبل ، وكما تموت « ميّات » بعد ، فإن البقاء لله ، ولأجسامنا الفانية العفاء والدثور

ولكن ذكرى مي ستظل خالدة ومصاحبة الأموات بالذكرى — ولو ان بيننا وبينهم جنادل وصفائح — هو نوع جميل من الصحبة الدائمة والعشرة الباقية وصفه الدكتور طه حسين نفسه بقوله : [وما أعرف شيئاً أوفى في العشرة ، وأحرص في المصاحبة من الموتى اذا كانوا أعزاء على نفوسنا ، وكانوا ينزلون في قلوبنا] . وفيما يلي حديث عزته : —

ظهرت مي في حياتها الادبية مظهرين مختلفين أشد الاختلاف وأثرت بهذين المظهرين نفسها في الحياة الادبية العربية تأثيراً عميقاً جداً ظهرت بعض صورته أثناء حياة مي ومستظهر بعض صورته الاخرى بعد وفاتها بزمان قصير أو طويل . فأما اول هذين المظهرين فهو مظهر الادبية البرزة التي لا تحتجب ولا تستخفي ولا تلقى الرجال عند المناسبات وحين تقتضي الظروف لقاءهم، وإنما تنظم الاجتماعات الادبية التي يشترك فيها الرجال والنساء اشتراكاً حراً سميحاً فيه كثير جداً من الرقي والامتياز. تنظم هذه الاجتماعات في بيتها وتشترك في كل اجتماع يشبهها اذا كان خارج بيتها . وليس من شك في ان الصالون الذي تستقبل المرأة فيه رجالاً يتحدثون فيما يتصل بالحياة العقلية من قريب او بعيد لم يكن جديداً في حياتنا العربية بل لم يكن جديداً في حياتنا المعاصرة . فقد عرف هذا القرن الذي نحن فيه صالوناً من هذه الصالونات على الاقل، كان بعيد الاثر جداً في حياتنا السياسية والاجتماعية . وهو صالون الاميرة نازلي رحمها الله . فقد كانت تستقبل في دارها بعابدين كبار المصريين والاوربيين . وكانت الاحاديث في هذا الصالون تتصل غالباً بالمسائل السياسية ومسائل الاصلاح الاجتماعي والديني التي كان الناس يشغلون بها في ذلك الوقت . وكان سعد وقاسم ومحمد عبده وحسن عبد الرازق وحسن عاصم يشهدون هذه الاجتماعات ويختلفون فيها ويشاركون فيما كان يدور فيها من الاحاديث . وكانت آثار ذلك تظهر في الحياة العامة لهؤلاء الناس . ولكن صالون الاميرة نازلي كان ارسطوقراطيّاً ان صحّ ان الارستقراطية توجد في مصر، وهو على كل حال كان ضيقاً مغلقاً لا يصل اليه الاّ الذين ارتفعت بهم حياتهم الاجتماعية الى مقام ممتاز . ولم تكن الحياة الادبية الخالصة تشغل الذين كانوا يختلفون الى هذا النادي

فأما صالون مي فقد كان ديمقراطيّاً او قل انه كان مفتوحاً لا يردّ عنه الذين لم يبلغوا المقام الممتاز في الحياة المصرية وربما كانوا يدعون اليه وربما كانوا يستدرجون اليه استدراجاً فيلقون الناس ويتعرفون الى اصحاب المنزلة الممتازة ويكون لهذا اثره في تثقيفهم وتنمية عقولهم وترقيق أدواقهم . وأنا اذكر أنني انما اتصلت بصالون مي على هذا النحو بعد ان نوقشت رسالتي في ابني العلاء وشهدت مي هذه المناقشة وشهدت فيما يظهر بعض الحفلات التي أقامها لي الزملاء حينئذٍ وطلبت الى استاذها واستاذي لطفي السيد ان يظهرني في صالونها . وكذلك عرفت في هذا الصالون وترددت عليها في أيام الثلاثاء الى أن سافرت الى اوربا . وقد رجعت الى مصر بعد سنة فأقيمت فيها اشهرأ ولاقيت فيها ميّاً في أيام الثلاثاء كما كنت ألقاها قبل السفر . وكان الذين يختلفون الى هذا الصالون متفاوتين تفاوتاً شديداً فكان منهم المصريون على تفاوت طبقاتهم ومنازلهم الاجتماعية وعلى تفاوت أمانتهم أيضاً . وكان منهم السوريون وكان

منهم الأوربيون على اختلاف شعوبهم وكان منهم الرجال والنساء، وكانوا يتحدثون في كل شيء ويتحدثون بلغات مختلفة وبالعربية والفرنسية والانكليزية خاصة . وربما استمعوا لقصيدة تنشد او مقالة تقرأ او قطعة موسيقية تعزف او أغنية تنفذ الى القلوب . وقد أتيت لي ان أكون من خاصة مي بفضل الاستاذ لطفي السيد فكنت أتأخر في الصالون حتى ينصرف الزائرون وما أكثر الليالي التي انصرف فيها الزائرون جميعاً ولم يبق منهم الا الاستاذ لطفي السيد ومحمد حسن نائل المرصني رحمه الله وأنا . وفي ذلك الوقت كانت مي تفرغ لنا وتفرغ لنا حرة سمجة ، فنسمع من حديثها ومن انشائها ومن عزفها ومن غنائها . ويظهر أني لن أنسى صوت مي حين تغنينا أغنية لبنانية مشهورة « يا حنينة » وتغنينا في اللغات المختلفة وفي اللهجات العربية المختلفة ايضاً

وقد اتصلت حياة مي على هذا النحو مؤثرة بهذه الاجتماعات المنظمة في البيئات المختلفة للادباء والمتأديين والمفكرين ورجال الأعمال ايضاً . اتصلت هذه الحياة اعواماً غير قليلة وظهرت آثارها في كثير من انتاج هؤلاء الناس . وما اشك في ان صالون مي قد اتخذ مثلاً لصالونات اخرى فتحت ابوابها فيما بعد . في قد أحيت بهذا الصالون سنة عربية قديمة كما نقلت الى مصر سنة اوربية قديمة وحديثة فهذا هو المظهر الاول لحياة مي

أما المظهر الثاني الذي اشترت اليه فهو مظهر مي التي آثرت الوحدة وألحت على نفسها في العزلة وقد مضت في طريقها الى العزلة مضياً رقيقاً او قل انها تدرجت في هذه للطريق تدرجاً بطيئاً اول الامر ولكنه سريع ملح آخر الامر . أخذ ميلها الى العزلة يظهر بعد ان فقدت ايومها ، وبعد ان غمر الحزن نفسها المشرقة ، ولكنها لم تقطع صلتها بالناس فجأة وانما قللت لقاءهم وتجنبت ما يدعو الى هذا اللقاء وأخذت لا تلتقي الناس الا بميعاد يطلبونه وتستشار المذكرات لتحديدده . وأخذت المذكرات تبخل بهذا التحديد شيئاً فشيئاً حتى اصبح لقاء مي مقتصرأ على اصدقاءها الأديين ، وكنت بين الذين شرفتهم مي بهذه الصداقة فكنت ألقاها بين حين وحين فنستخلص لأنفسنا من الدهر واحداثه ساعة او ساعات نتحدث فيها ادباً وفلسفة جادين حيناً ومازحين حيناً آخر . وكان سكرتيري ثالثنا في هذه الاجتماعات . وكان لنا رابع يحضرنا دائماً ولكنه لم يكن يفهم عنا . ولعلنا نحن كنا نفهم عنه كثيراً وهو ذلك الابريق الذي كان ممتلئاً دائماً من شراب الورد . والذي كنا نستسقيه غير مرة في هذه المجالس العذبة المرة . فقد كانت هذه المجالس مرة في كثير من الاوقات . ذلك ان مي كانت في طور

الحزن اللاذع والالم الممض والتشاؤم الذي كان يسرع اليها كما كانت تسرع اليه وطالما دافعت عنها هذا التشاؤم وطالما حاولت ان أرد عنها هذا الحزن المهلك ولكن لم أكن أدنو الى النجاح الا ليردني الاخفاق عما كنت أريد ردًا عنيفاً . وكنت اريد ان استنقذ ميًا من تشاؤم ابي العلاء كما كنت اريد ان استنقذها من الاسراف في التأثر برجال الدين . ولكن ابا العلاء ورجال الدين كانوا أقوى مني ومن غيري ايضاً . وربما كان أظهر شيء لزم حياة مي في هذا الطور من أطوارها حبها لحياة القدماء وآثارهم والباحث في قراءه التاريخ وحرصها على زيارة الآثار والوقوف امامها صامته مرة ومتحدثة اليها أو متحدثة عنها مرة أخرى . وقد ألححت عليها غير مرة في الخروج من دارها للرياضة فكانت تمنع وتأبى ، ولكنها قالت لي ذات يوم إن كنت تريد أن أخرج فاصحبني الى الهرم فاني أحب أن أشهد هذه الآثار وان أقف موقف عبرة واتعاط امام ابي الهول . وقد صحبتها الى هذه الآثار غير مرة وكانت احاديثها عن الروح المصري القديم من أروع الاحاديث وأعمقها تأثيراً في النفوس . ثم تتخفف مي من علاقتها الاجتماعية شيئاً فشيئاً ويصعب علينا حتى اقناعها بشهود الاجتماعات التي كان يعقدها نادي القلم . ويحتمل الاستاذ خليل ثابت مشقة عظيمة في اقناعها بحضورها بعض هذه الاجتماعات . وتسافر مي وتعود وقد قطعت صلاتها بأكثر الناس وكنت منهم . واذا هي تؤثر ان تلقاني في كتيبي وفيما انشر من الفصول . ثم يأتينا نعي مي ذات صباح

هذه العزلة التي آثرتها مي في آخر حياتها لم يقتصر أثرها على مي وحدها وقد ذاقت مي مرارتها وبلت آلامها ، ولكن الناس كانوا يعرفون هذه العزلة وكانوا يعرفون ما كانت مي تحسن فيها من الألم وكانوا يألمون لها ويضيقون بها ولكنهم كانوا يفكرون فيها ويلتمسون لها ألوان العلل في حياة مي العقلية وفي المثل الأدبية التي كانت تنظر فيها مي كثيراً وقد يكون من الغريب أن نلاحظ أن ميًا بهذين المظهرين المتناقضين من مظاهر حياتها قد أحييت سنة « خرقاء » وهي التي قال فيها الشاعر القديم

تمام الحج أن تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام

فلم تكن زيارة القاهرة تتم دون لقاء مي ، كما أحييت سنة ابي العلاء بعزلتها تلك . ومن المحقق ايضاً ان الادب العربي القديم قد انتفع بسنة خرقاء كما انتفع بسنة ابي العلاء . ومن المحقق ايضاً ان الادب العربي الحديث قد انتفع وسينتفع بهذين الطورين من أطوار حياة مي . رحمها الله

حضرة الاستاذ

عباس محمود العقاد

عضو مجلس النواب ، وجمع فؤاد الأول للغة العربية

للاستاذ العقاد مقام معلوم في عالم الأدب ، وتمتاز كتبه وكتاباته بعمق التفكير ، وغزارة الاطلاع ، وهو على كثرة انتاجه في التأليف ما يزال يتحف الصحف الأدبية بمقالات تعجب الذين يتابعونها ، جمعت الى قوة الأسلوب وشدة أسره ، الوضوح والنصاعة في التعبير عن الفكرة وتصويرها

وكان الاستاذ كثير الصلات بمي ، عرفها من قرب ، وأعجب بذكائها وألمعيتها ، وعنده عنها معين من الذكريات لا ينضب ، وفيض لا يفيض . فحديثه عنها حديث المنبئ الخبير . وما احتاج في خلال الاسئلة الى أن يكذب ذهنه في استحضار ماضٍ بعيد ، او الاستشهاد بحادثة معينة . وقد خيل اليّ وأنا أصغي اليه انه استعرض ماضي مي لحظة فلحظة ، وأن صور الأيام كانت تمر بخاطره سريعة متعاقبة

ويحتفظ العقاد بكل ما كتبت « مي » من مؤلفات ولقد ردت اليه — حين ألحت عليها العلة ، واصطلحت عليها الهموم — جميع رسائله اليها ، كما ردت الى غيره ممن راسلوها رسائلهم . ولقد أطلعني الاستاذ على جملة هذه الرسائل ولم يطلعني على تفصيلها . أما رسائلها اليه فقد ردها اليها وهي محفوظة مع ما وجد عندها من مخلفات وأثار . ولعله موفٍ بما وعد من الكتابة عن « مي » فهو أولى الناس بالكتابة عنها ، وأجدرهم بالتحدث عن أدبها وفنها ، وعبقريتها ونبوغها ، وأقدرهم على تصويرها في نديها وهي تدير الأحاديث ، وتوجه الكلام يؤمن بعض المشتغلين بالآثار ، المنقيين في الصخور الصم ، وفي الرمال الصفر ، الكاشفين عن الكنوز المكنونة والجثث المدفونة ، بان للموتى لغات قد تنصب على الكاشفين وسخطات قد توجه الى النباشين الحفارين فتصيبهم منها المكاره او تدركهم بسببها المعائب وأنا أومن بان للموتى — الى ذلك — رحمت تمس النار الالفة فتبرد وتلمس الصخور القاسية فتلين ... وان لهم نفحات من عالم الغيب ، ومن وراء الحجب ، تحرق الاستار وتمزق الغشاوات فتصل الى أرضنا تنشر فيها المحبة ، وتشيع فيها الرحمة ، وتصل الوداد المقطوع والحبل المصروم ، وتؤلف بين القلوب وتجمع بين البعيد والقريب ... وكذلك كانت « مي » . . . أحسن الله اليها . فقد أتاحت لي ان أرى « العقاد » بعد

غياب سنوات . . . وان استأنس الى «العقاد» بعد وحشة سنوات . انها «كرامة» من «مي» . وفضل من رئيس تحرير المقتطف . ونبل من «العقاد» ولقد عرفني «مي» الى العقاد من جديد ووصلتني روحها به عوداً على بدء ، فاذا بي في داره في «هليوبوليس» كما كنت بالأمس البعيد في مكتبه «بالبلاغ الأسبوعي» واذا بي أستمع الى صوت «العقاد» الذي طال علي العهد به واذا بالعقاد يجيب عن كل سؤال من أسئلة وضعتها له عن «مي» واذا بي ألمح من ثنايا كلامه ومن خلال حديثه ألم الحسرة ، وحرق اللوعة لفقد «مي» . فهو يتحسر على مي في نديها ، وعلى الخلو من حديثها ، والشجي من لحنها . ويتذكر «ميا» في التماح ذكائها ، ونافذ رأيها ، واستواء حجتها ، واعتدال فكرها . ويعجب أين ذهبت هذه البشاشات ، وولت هذه القسمات وانطفأ ذلك الشعاع وجفت هذه الورقات وطويت هذه الصفحات ؟ لا تعجب أيها الاستاذ ! فمثلك من روى الاخبار وعرف الأسرار ، وقد أجيبت أنت نفسك عن هذا السؤال حين قلت في شطر حافل بالحكمة والحسرة من قصيدتك في رثاء «مي» «كل هذا في التراب آه من هذا التراب»

١ - سألته : (ما أحب كتب مي الى نفس الاستاذ : فأجاب بما يأتي) :

(باحثة البادية) يمثل اكبر جانب من تفكيرها وطبيعتها وأسلوبها . واعتقد أن الآنسة مي كاتبة معتدلة بعيدة عن التطوح في الاثريات والخياليات . فهي أقرب الى المحسوس الداني منها الى الخيال البعيد ولذلك كانت في حياتها كلها أقرب الى المحافظة وأدنى الى التمسك بالتقاليد . فالفرق بعيد بينها وبين كاتب مثل جبران خليل جبران فهو يمثل الخياليات ويسبح في الاثريات . وليس في كتابتها جنوح الى الغموض او ميل الى اصطناع الأسرار على النحو الذي يشاهد في كتابات بعض أدباء المهجر وخاصة جبران ومما يلاحظ انها كانت تعجب بجبران . وكانت تناقشني في نقدي اياه ، فكنت أقول لها ان اعجابك هذا انما هو اعجاب المناقضة لا اعجاب المماثلة . وأعني بذلك أن الانسان اما أن يعجب بصفة فيه موجودة في غيره على شكل أعظم وأوسع . وإما أن يعجب بصفة ليست فيه ولكنه يرجو أن يتصف بها ، أو يكمل صفاته باضافتها اليها . في في وضوحها واستقامة تفكيرها وبعدها عما سميانه بالاثريات والخياليات هي في الواقع تقيض جبران - وان كنت لا أعني قدحاً في هذا الكاتب الذي له ولا شك منزلته في الأدب ومزاياه في الكتابة

٢ - فسألته : (في الطبعة الاولى من ابتسامات ودموع تصرفت مي في ترجمة الكتاب عن فردريك مكس مولر الالماني وفي الطبعة الثانية تقيدت بالاصل معنىً وتعبيراً كما تقول هي نفسها في المقدمة . فهل كان لهذا العدول رأي خارج عنها؟ أم فعلته مختارة؟ وما رأيكم في تصرف الكاتب فيما يترجمه؟)

فكان جوابه : لا اذكر أن هناك نقداً وجه الى الترجمة الاولى . أو لعل قرأت نقداً وغاب عني . انما أعلم انها رحمتها الله ، كانت شديدة التبرم بالنقد وكانت تنقيه كثيراً ولو تبين لها أنه صادر عن نية حسنة . فاذا حدث أنها تعرضت لنقد في سبيل التصرف في الترجمة فاني أعتقد أن هذا لما أعلمه من مزاجها ، وحذر لها كافٍ للعدول عن هذا التصرف أو لاستدراكه اذا أتيج لها أن تستدركه

أما رأيي في تصرف المترجم بالترجمة فهو أنه جائز على شريطة أن المؤلف يقبل هذا التصرف لو عرض عليه . وليس غرضي بالطبع أن يتم العرض فعلاً ، ولكني أريد أن خير تصرف هو الذي يرضاه المؤلفون ويعتقدون انه لا يخرج بالمعنى عما أرادوا

٣ - فسألته : (اذا كانت الطبيعة الجميلة قد استهوت ميًا كما تحدثت هي كثيراً عن ذلك في بعض كتبها ، فهل تعرفون لها قبل اضطرابها الاخير حادثاً خرجت فيه عن العالم المدني الصاخب الى العزلة الوحيدة الدائمة في أحضان الطبيعة كما فعل (ثورو) و (لويل) في أميركا . وكما فعل (وردسورث) في منطقة البحيرات (بانكلاكتر) ؟)

فأجاب : كل ما أعلمه انها كانت تتحاشى ان تخرج الى الطبيعة منفردة لما عسى ان تعرض له بسبب ذلك من اجترأ بعض العائنين ، وان كانت تعتم كل فرصة آمنة للرياضة في ضواحي القاهرة وبعض المنازل القرية منها . كان حبها للطبيعة يتجلى في هيامها بمناظر الغروب أو مناظر السحب وهي مشرفة عليها من حجراتها في بيتها ، حتى كانت تؤثر ان تجلس في هذه الشرفات أيام الشتاء اذا لم يمنعها المطر الغزير من الجلوس فيها

وكانت تمنى ان تزور مصر وصعيدها الأعلى خاصة لتستمتع بما تتخلله من روعة المناظر الطبيعية فيها ، وكثيراً ما سألتني أن أصف لها تلك المناظر ، وان أريها اياها في رحلة

شتوية كانت — رحمها الله — تفكر فيها كثيراً ولا تظفر من الوقت بما يهد لها أسبابها ، على ان حبها للطبيعة كان محدوداً بما فطرت عليه من الاحجام والاحتراس ، ولولا ذلك ما انقطعت عن غشيانها كما يغشاها كل حب مشغوف بها

٤ — فسألته : (على ذكر الدفاع عن الديمقراطية الآن والمحنة التي تمتحن بها أمها نسألکم رأيکم في الفصل الذي كتبته مي في كتابها المساواة)

فأجاب : أذكر اننا تناقشنا في الديمقراطية مرات ولم نكن على وفاق في كل مرة . وان كان خلافنا على هذه المسألة أقرب الى الفكاهة منه الى الجد والتباين الصحيح في الآراء . فمن ذلك — وكنت أرشح نفسي للانتخاب — أنها أشارت الى حق المرأة في الانتخاب للمجالس النيابية . فقلت لها : انني لو ملكت الامر ما سمحت للمرأة بهذا الحق . قالت ولم ؟ فأجبتها لاعتقادي ان المرأة بفطرتها غير ديمقراطية فأنكرت ذلك اشد الانكار ، وعدت أسأها ترى لو أعطيت أنت حق الانتخاب — وأنت مي التي لا يشبهها كثيرات من النساء — ثم ذهبت الى الصندوق وذهب اليه مرشحان أحدهما يسير على قدميه والآخر يركب سيارة فخمة من أنفس طراز فهل تظنين انك تفضلين المرشح السائر على قدميه ، أو تفضلين المرشح صاحب السيارة الفخمة ؟ قالت : — لعي أفضل الأول اذا كان مستحقاً للتفضيل . قلت : — بل لعلك تفضلين الآخر على كل حال ! فتظاهرت بالغضب . والتفت الى السيدة والدتها وكانت تسمع حديثنا . أسأها : ما رأيك يا سيدي فيمن تؤثره كريمتك بالتفضيل ؟ وأنت أعلم بها مني ؟

فضحكت وقالت : الحق ان كل امرأة تفضل راكب السيارة على السائر الى صندوق الانتخاب بقدميه . وهنا عادت الآنسة مي تقول : — ولم تظنون ان المرأة مخطئة حقاً في هذا التفضيل ؟ ألا يمكن أن يرجع هذا الى بداهة فيها توهي اليها ان تختار من تستقر على يديه الامور ويبتعد بالامم عن القلاق والازمات ؟

وانتهى الحديث بيني وبينها بقولي : ان حكم المرأة والنبلاء كان هو في أكثر العصور منار القلاق والثورات . وما قامت ثورة قط الا على أثر حكم يطغى فيه هؤلاء النبلاء . وفي مرة أخرى كان قيصر روسيا مقبوضاً عليه في انتظار المحاكمة او النفي الى مكان بعيد . وكانت مي تشايح القيصر وترثي له وتنعي على خصومه ان خلعه واعتقلوه . فكنت أقول لها : انني لا أود الألم والشقاء لانسان ، ولا سيما اذا كان هذا الانسان بين أهله وأسرته . ولكني كلما ذكرت القيصر منفيًا لم يسعني ان أنسى رجلاً عظيماً مثل « دستوفسكي » وهو

منفي في سجون سيبريا . ولم يسعني ان أنسى ألوف العمال الذين قتلوا أمام قصر الشتاء بأيدي حراس القياصرة . فان مصائب الكبار لا تنسينا مصائب الصغار . وربما كان الكبير مسؤولاً عن مصيبتة ، ولم يكن الصغير مسؤولاً لا عن مصابه ولا عن مصاب الآخرين . وختمت حديثي معها — رحمها الله — بسؤال لم أجب عليه وهو : هل تظن ان خصوم القيصر سيرجون العمال أو يعاملونهم خيراً من معاملة حراس القيصر ؟ فقلت : علم ذلك عند المستقبل . وعلى هذا النقط كانت تجري مناقشاتنا في موضوع الديمقراطية بحيث لا تتجاوز هذه المناوشات الفكاهية الى التعمق في البحث والمبالغة في الاستقصاء

٥ — فسألته : (كان لى بعض المؤاخذين على افرنجية أسلوبها وتساهلها في اختيار اللفظ العربي الصحيح . فما رأيكم في هذا ؟)

فأجاب هذا الجواب الموجز : لا أظن أنها وقعت في خطأ لغوي كانت تستطيع اجتنابه

٦ — فسألته : (أشرت في مقال لكم في إحدى المجلات إلى براعة مي في ادارة

الحديث فهل نستطيع ان نسمع منكم المزيد في هذا الموضوع ؟)

فكان جوابه : لا يحضرني مثل لذلك أدل على البراعة من ادارتها الحديث في مجلس حضره نحو ثلاثين كاتباً وأديباً ووزيراً للتشاور في الاحتفال بالعيد الحسيني المقتطف ، وكان اجتماع هذا المجلس عندها في إبان المنازعات السياسية التي وصلت بكثير من الكتّاب والأدباء الى حد التقاطع والعداء . وكان منهم من حضر هذا المجلس وهم متشيعون الى شتى الأحزاب ينتمون الى مختلف الهيئات . فقضينا عندها ساعتين نسينا فيهما ان في البلد أحزاباً او منازعات سياسية بفضل براعتها في التوفيق بين الآراء والأمزجة ، وقدرتها على توجيه الحديث الى أبعاد الموضوعات عن الخلاف والملاحاة . وما أحسب ان أحداً غير مي قد استطاع هذا الذي استطاعته في تلك الايام ، حتى أذكر أنني قلت لها وأنا أودعها تلك الليلة : لقد كنت يا أنسة في هذا المساء تحملين معزف (أرفوس)

٧ — فسألته : (ذكرت مي في مقال لها بالمقتطف عدد مارس سنة ١٩٢٧

عن تهوفن ان همومه الكثيرة واليأس الذي حاق بنفسه قد ساعدت على ضعفة إيمانها . وقد كانت مي كئيبة طول حياتها يائسة كسيرة القلب في أواخر أيامها ، فما أثر ذلك كله في إيمانها ؟ وهل زعزعت الحوادث إيمانها ؟)

فكان جوابه: على نقیض ذلك. كانت مي في أيام مرضها أشد إيماناً بدينها وطمحاً بموضوعات الدين من سائر أيامها. ومن شواهد ذلك أنها بعد عودتها من رحلة إيطاليا المشؤومة قصت عليّ حديثاً جرى بينها وبين جماعة من الفاشيين كانوا يفخرون بأنهم ورثة الدولة الرومانية القديمة فكان أكبر ما نعتته على تلك الدولة أمامهم أنها هي التي اضطهدت السيد المسيح. ولا شك أن القدح في دولة كبيرة كالدولة الرومانية القديمة لمثل هذا السبب لا يدل على ضعف في النزعة الدينية، بل يدل على اشتغال الذهن بها أكبر اشتغال. ولا أذكر مناقشة جرت في مجلسها بين ملحد ومؤمن إلا كانت هي في جانب الإيمان بتفكيرها وشعورها على السواء.

٨ - فسألته: (هل اطلعت على شيء من كتبها المكتوبة بغير اللسان العربي؟ وهل تعرفون ترجمة لكتابتها «زهرات حلم» *Fleurs de Rêve* المكتوب بالفرنسية؟)

فأجاب: لم يترجم كتاب زهرات حلم إلى العربية. ولا أذكر أني قرأت لها شيئاً بغير اللسان العربي.

٩ - فسألته: (ما الذي تعرفون عن احتراس مي في حياتها الاجتماعية؟)

فأجاب: يخيل إليّ أن احتراسها المفرط لازمها من بدء شبابها ثم زادت الحوادث رسوخاً وتشعباً حتى كانت في بعض الأوقات لا تطمئن إلى أحد ولو كان من أقرب المقرين إليها. وكثيراً ما دعيت إلى حفلات بيتية عند صديقاتها من كبريات الأسر فكانت في أكثر الأحيان تجيب بالاعتذار، لأنها كانت تكره الحفلات الراقصة على الخصوص مع اجدتها الرقص ودفاعها عنه فيما كتبته من الرسائل عن باحثة البادية. ويخيل إليّ أنها كانت مطبوعة على التمسك ومصابة الآلام فضلاً عما لقيته أحياناً من شذائد نفسية تعلي لها في شعور العزلة والشك والاحتراس. وما أظنها كانت تنطلق في حريتها لو ساءت من تلك الشذائد، لأنها فيما أرى قد فطرت على الاحتجاز والتضييق. وربما ورثت شيئاً من هذا عن والدتها التي كانت شديدة التمسك بدينها. وكانت لا تطيق أحياناً أن يذكر أمامها أسماء أعلام الفكر ودعاة الحرية الدينية. وقد كانت تسخط مثلاً على رينان كلما ذكرناه بلبه الناثرين من أمثال «فولتير» و«كارل ماركس» وأحرار الفكر المحدثين.

١٠ - فسألته عن مذكراتها ورسائلها

فأجاب بما يلي: كانت لها مذكرات وتعليقات أدبية لم تطبع، وبعض قصائد ترجمها من اللغات الأجنبية والقديمة خاصة. ولديها رسائل أدبية لكثير من أعلام الأدب العربي. ولكنها ردت هذه الرسائل إلى أصحابها قبل اعتكافها واشتداد المرض عليها. ولهذه الرسائل شأن عظيم، لأنها لو جمعت وطبعت لكانت تحفة أدبية رائعة.

حضرة السيدة الفاضلة

مدام ايمي خير

١- سألتها : (ما كان اثر الفجيعة في مي في نفسك ، وكيف تلقيت نعيها ، وهل كنت على علم بما حدث لها قبل وفاتها بأيام ؟)

فأجبت : كان لمصاب مي أثر بالغ في نفسي ، وحزن عميق في قلبي ، وكان بودي لو قدر لي أن تموت مorte غير هذه المorte ، وفي ظروف غير هذه الظروف ان وفاتها صدمة قاسية ، ولا شك أن مثل مي في مقامها الأدبي ومقامها الاجتماعي ومكانها في التأليف والكتابة ليعتبر موتها على هذه الصورة فجعة قاسية . وهنا تنهدت السيدة الفاضلة ثم تابعت الحديث قائلة : شعرت بألم المصاب لمي ، وأحسست به احساساً عميقاً وبودي لو استطاع كل انسان في مصر أن يمد لها في أواخر أيامها حياة أهناً من حياتها التي كانت تحياها تسألني كيف تلقيت النبأ ؟ نعم لقد قرأته في الاهرام في الصباح المبكر . وكان نعيًا مفاجئاً ، وخبراً مباغتاً . وبلغ من ذهولي له وتأثري به أن تحدثت في المسرة (التلفون) مع خليل بك مطران لعل عنده من وفاتها نبأ ، وسألته كيف ماتت « مي » هذه المorte المفاجئة بعد أن قدرنا لها الراحة والهدوء في بيتها الصغير الهاديء

ولقد كنا جميعاً - نحن أصدقاءها والمتصلين بها - نعلم أنها كانت في يديها الجديد الصغير لا تحب لقاء أحد . وهي حالة غريبة من حالات النفس طرأت عليها . فلم نشأ - لذلك السبب - أن ننقل عليها بالزيارة أو نزعمها بطلب المقابلة . مؤثرين أن نتركها في هذه العزلة التي اختارتها بيدها الى أن يأذن الله في شفائها مؤملين ومعلمين نفوسنا بالآمال القوية أن ميًا ستعود سيرتها الاولى ، واننا سنعود الى لقاءها ولكن الآمال خابت والرجاء ضاع حينما فوجئنا بوفاتها واختطاف الموت لها من بيننا . وما اتصل بعلمي شيء مما جرى لها قبل وفاتها بأيام ولا وقع في خاطري شيء منه ، لأننا تركناها لعناية الله وحماية الأقدار

٢ - فسألتها : (ما هي النواحي التي كانت تعجبك من مي ؟)

فأجبت : لقد كنت أود ميًا والشاعر يقول حسنٌ في كل عين من تود . وما من ناحية إلا كانت موضع إعجابي من مي

أعجبنى منها ذكاؤها المتوقد ، وذهنها المتيقظ . وكانت كل حاسة من حواسها أو جراحة من جوارحها تنمُّ على ذلك الذكاء . فعيناها اللامعتان وتعبيرها الحار ، ولطف اشارتها وحسن حديثها ، كل أولئك نمت على ذكاؤها كما ينم ريح المسك على المسك .
تستطيع أن تؤثر فيك بكلامها ، وتنقلك الى صفها ولو كنت من الملحقين في الخصومة المممنين في المجادلة والمعارضة

وكان فيها الى جانب علمها وفنها جوانب كثيرة وحواس رقيقة من اللطف والدعة ، واللين والرقه . فكانت تحترم أمها وأباها ، وتقف أمامهما كما يقف الطفل في حضرة والديه فما قصرت لهما في حق ، ولا ضيَّعت لهما واجباً . وكان للأسرة عندها محل كبير من الاعتبار وموضع من التقدير ، فظلت محافظة على المبادئ الأسرية والتقاليد العائلية من غير ان يطوح بها التفرنج الى الخروج عما رسمته لنفسها من مبدأ ، وما وضعتُه من خطة . وكانت مي متواضعة ، وأعظم ما أعجبنى منها هو ظهور تلك الصفة فيها على الرغم من علمها وأدبها ، فما غرها العلم ، ولا زهاها الأدب ، ولا تفخ في أوداجها كونها كانت قبلة الوزراء والعلماء والأدباء . فكانت مي هذه — مي العالمة المتمكنة ، ومي الاجتماعية المفكرة — تتحدث مع الجاهل فتنزل الى مستواه ، من غير ان تشعره بجهله . وبالجلة كان لمي أدب الرجولة القوية ولطف الأنوثة الوديعه

أنا معجبة بها ، أنا معجبة بها (وكررتها السيدة الفاضلة كثيراً)

٣ — فسألتها : كيف كانت صداقة مي لبنات جنسها ؟ وهل كان للمرأة مكان في نديها كما كان للرجال ؟

فأجابت : كانت مي لطيفة مع النساء ، كما كانت مع الرجال ، فهي لطيفة على اختلاف الحالات ، ولم تتوطد بيني وبينها صداقة كما تظن ، ولكنها صلة وثقها عندي إعجابي غير المحدود بها . كانت مي محبة لجنسها النسائي ، وأكبر برهان على ذلك كتابتها عن عائشة التيمورية ، وباحثة البادية ، ووردة اليازجي . ألا تحمل كتاباتها عنهن طابع الحب لجنسنا ؟ ألا ترى في ذلك وفاءها لنا ؟ ولعلك تعجب اذا عرفت ان مرات ترددي على نديها لم تتجاوز ثلاثاً أو أربعاً . ولكن أصحابها من الرجال كانوا أصحابي ، فكان حديثهم عنها يؤكد لي ما رأيته في مرات لقائي إياها . والذي أعرفه ان نديها كان محط الرجال لأهل العلم والفضل والحكم من الرجال ، فلم يكن يتردد عليه ويختلف اليه من النساء الا قليل — على ما أعلم — وأذكر منهن حرم حضرة صاحب السعادة شكور باشا

٤ — فسألتها : (ما رأيك في كتابتها بالفرنسية ؟ وهل قرأت لها كتاب

« زهرات حلم » ؟)

فأجابت : كل ما أعلمه لها بالفرنسية كتابها « زهرات حلم » وهو كتاب عاطفي ، وفيه كثير من الطموح والجدة والشباب ، وقد خلا من التكلف بقدر ما امتلأ من الشعور . ويمكنك ان تقول انه كتاب فتاة صغيرة شابة الآمال ، فتية القلب ، شاعرية الروح وأول ما كتبت مي بالفرنسية ، وتعليل ذلك بسيط ، فقد تعلمت في مدرسة عين طورة بلبنان اللغة الفرنسية قبل العربية . فكان طبيعياً ان تكتب بما تعلمت . فلما أتمت دراستها فهمت ان هذا الطريق الذي اختير لها خطأ ، وأنه من الخير لها والبر بوطنها ان تدرس العربية . فتركت الفرنسية مرة واحدة وبدأت تتعلم لغة العرب — لغة الآباء والاجداد وفي ذلك الحين قابلت لطفي «باشا» السيد ، وسمعتها تتكلم وتدافع عن الحركة النسائية الشرقية دفاع المؤمن بما يقول ، فتقدم سعادته لتدريس اللغة العربية لها . والحق الذي أنا مستوثقة منه ان الاستاذ لطفي باشا السيد هو مدرستها في العربية ...

وظلت مي تكتب العربية وتمارس مدارستها ، الى ان مات أبوها اولاً — المرحوم الياس زيادة — صاحب المحروسة ، وماتت أمها ثانياً ، فرجعت مي الى اللغة الفرنسية تكتب بها وتقرأ فيها . وأظن تعليل ذلك سهلاً يسيراً ، فانها لما مات ابوها تذكرت أيام نشأتها وعهد طفولتها ، فربطت الذكريين بما تعلمت من الفرنسية وحننت الى الكتابة بها . وأذكر لها في ذلك الحين مقالاً طريفاً في هذا اللسان تخاطب به عصفوراً صغيراً

وكانت الفرنسية أحب اللغات الاجنبية التي حذقتها الى نفسها ، فكانت تكتب بها بعض رسائلها أكثر من أية لغة أخرى . أما العربية فلها فيها رسائل تعد ثروة ادبية كبيرة وعجيب ان تتحول مي هذا التحول السريع من الفرنسية الى العربية ، حتى لكان العناية الالهية اختارتها لاتقان العربية بعد ان قطعت في الفرنسية شوطاً بعيداً ، واجتازت مدى كبيراً . وليس ذلك في الحق بعجيب على مثل مي في حبها للشرق والشرقيات والعروبة

ويخيل الي أنها كانت في ثوبها الفرنسي متعبة قلقة ، وكأنَّ وازعاً نفسياً كان يعاتبها على خلع رداء العروبة ، فأجابت الداعي حين دعا وخلعت ذلك الثوب الفرنسي الذي لم يوائم مزاجها ولم يوافق طبعها ولبست ثوب العروبة فازدان بها وازدانت به

ولقد بلغ من حب مي لشرقيتها ، وحفاظها على عربييتها انها كانت تقدم لضيوفها — وما كان أكثرهم — شراب الورد أو فنجانة القهوة على طريقة شرقية محبة ، فلم يجار (المستغربين) أي عشاق الغرب في اتجاههم ، ولم تذهب مع العصرين المتفرجين في ملبسهم

٥ - فسألتها: (هل كانت مي تعالج نظم الشعر بالفرنسية وإذا كان ذلك فهل تذكرين لها بعض القصائد؟ وهل عرفت لها رأياً في الشعر العربي قديمه وحديثه؟) فأجابت: نعم: وعندها مخطوطات لقصائد فرنسية. وكانت تنوي طبعها قبل وفاتها. وأنا واثقة أن هذا اللديوان الذي لم يطبع يفوق ديوانها الأول «زهرات حلم» قوة وشاعرية لأنه نتيجة نضجها، وثمار تجاربها واختباراتها بينما الأول كان أول عمل لها في شبابها حيث الفكر محدود والتجارب قاصرة. ولا أعرف لها رأياً خاصاً في الشعر العربي ولم يقع لي من حديث معها أو حديث عنها شيء من رأيها في هذا الموضوع، ويحتمل اليأس أنها كانت تحب شعر شوقي بك. وأذكر أنها خاطبتني مرة بأننا كلنا نسعى في طريق واحدة وإلى غاية متحدة، وهي أن نعمل - من العربية - لغة قواماً بين لغة العلماء ولغة الشعب. وهي بذلك الاتجاه في التفكير تعتبر في طبقة الزعامة من النهضة الحديثة

وتحضرني الآن ذكرى طيبة عن ديوانها «زهرات حلم» فقد اشتريته لأساهم في مساعده جماعة خيرية. فلم تكن مي تبغي من ورائه مكسباً مادياً. أو تريد ربحاً مالياً. ولكنها ماطفة الاحسان تمثلت فيها فصرفتها عن شغل المادة وعبادة المال. وهنا تهتد السيدة الفاضلة ثم قالت (لقد كانت حياة مي قصة كاملة، قصة مملوءة بالأسى والمفاجع، كما كان موتها مفاجئاً) ٦ - فسألتها: (كانت مي باعترافها في بغض كتبها كثيفة حزينة. فما أثر

تلك الكتابة في نظرتها الى الحياة؟ وهل كانت طيبة الأمل في الجنس البشري أم خائبة الأمل فيه؟ وهل وجدت في غير الكتابة والتأليف عزاء لها عن أحزانها؟؟) فأجابت: ان سبب حزن «مي» هو عزلتها في الحياة ووحدتها وانفرادها. لقد كانت مي كقمة الجبل الأشم وهي ضاربة بعيداً بعيداً في عنان السماء. لقد كانت شاعرة بسموها وذكاؤها شاعرة بتفردها في عالمها. فعاشت منعزلة في عالم خلقته من ذكاؤها وصنعتة من مواهبها ألا ترى الى قمة الجبل الشاهق كيف استغنت بسموها في آفاق المعاء فرضيت بوحدتها؟ لقد كانت مي كذلك... ولكنها مع ذلك لم تحتقر الآخرين بل كانت ترحب الى أحاديثهم، ولطمئن نفسها الى نفوسهم وتجد لذة في مجالستهم

ولا تنس الناحية العاطفية الجنسية في شقاء مي، فلقد كانت فتاة تأمل أمل الفتيات، وتحلم أحلام البنات. ولكن الأقدار باعدت بينها وبين الزوج الذي يسعدها، والبيت الذي يؤنسها - وأعني بيت الزوجية - والاطفال الذين يجعلون للحياة قيمة من حولها نعم حرمتها الأقدار من ذلك كله. وهو شاق على كل امرأة، عسير على كل فتاة

سألتها مرة عن صحة أبيها وأما فقالت في لهجة فهمت منها كل شيء وأدركت كل معنى « ليس لهما غيري وليس لي غيرهما ». آه .. كلمات قصيرة تحمل معاني كبيرة. كانت حياة مي لوالديها ، وكانت نسمة الحياة في مي لوالديها ، وكان مجد مي لوالديها ... وكان تعبيرها لي في هذه الجملة القليلة الضئيلة الالفاظ نوعاً من الشكوى بحالها . وهي شكوى لم تطل على حسب ما يصنع الشاكون والشاكيات . من المؤكد أنها لم تكن سعيدة في حياتها ، ولم تكن هائلة حتى على المجد الذي أحرزته ، والعرش الذي احتلته . ان في الحياة معاني عميقة . وكما بعد الانسان عن فهم هذه المعاني وادراكها على وجهها الصحيح زادت متاعبه ونُفِست أيامه وساعاته لقد ضحت مي بكثير في حياتها وما أعظم ما ضحت به . ضحت بشبابها اللامع الوضيء وذكائها المتوقد المتهيب . وقدمتهما الى الحياة قرباناً خالصاً ... ولعلك تذكر الأسطورة الرومانية القديمة عن الربّة فيستا Vesta والبنات اللاتي كنّ معها ضحية الشباب واسمهن في الأسطورة (Vestals) فُستال . لقد كنّ ضحية الشباب النضير ، فلم يزوجن ولم يتلق قلب واحدة منهن بهوى ، وقضين حياتهن منشغلات باشغال نار مقدسة سماوية وامدادها بالخطب الجزل حتى لا تنطفئ فان في انطفائها خراباً عاجلاً لمدينة روما ... وكذلك كانت مي — لقد كانت كواحدة من هؤلاء الفستال كانت تجدد في الأدب تسلية وملهاة ، ولم تجد فيه تعزية ، وفرق كبير بين التسلية والتعزية . أي شيء كان يعزي ميّاً عن آلامها المشتعلة ؟ وأي وسيلة كانت تجد فيها ميّ العزاء عن آلام الزمان والمكان ؟ . (وهنّا تمت لي السيدة الفاضلة ألا يحكم عليّ في الحياة بما يدعو الى السلوان والعزاء — فلها مثل ما تمت)

لقد كانت الكتابة تشغل ميّاً عن آلامها وأحزانها ، مسكينة مي ! ولو رأيت جنازتها لرأيت البساطة ممثلة فيها ، كان هناك أحمد لطفي السيد باشا — وكنت معه — وأنطون بك الجميل و خليل مطران بك وبعض أصدقائها . لقد كنت راكبة مع لطفي السيد باشا في سيارة خلف نيشها . ولما وصلنا الى الديار البعيدة الساحقة . ديار الأبدية التي لا لقاء بعدها بأجسامنا — تلك الديار التي تفرق منا كل يوم حبيباً ، وتحطف عزيزاً — لما وصلنا الى هنالك دوننا من قبرها ولحدها الأخير ، فوقف عليه لطفي السيد باشا وذرف السخين من العبرات حينما تلقوها من بين أيدينا ليساموها الى سكون الموت ووحشة القبر ، ويودعوا جسدنا التراب وهناك ... في ديار الفناء ، ومقابر السكوت سكنت ميّ الخطيبة ، وعاشت ميّ الخالدة . فما سمعنا لها صوتاً ولا سمعنا أحداً يتكلم على قبرها ، ولا ارتفع صوت في الكنيسة لتأبينها .. لقد كان السكون مخمياً ، والصمت شاملاً فما استطاع لسان ان يحل عقده . وزاد في أسي الجنازة وحزنها منظر الشمس الغائبة في ذلك اليوم . لقد كان كل شيء حزيناً ، وكل جو

يُشعر بالأسى والحزن . لقد كانت موتها قاسية ، وكنا نأمل لها خاتمة غير ذلك

٧ — فسألتها : (ماذا قرأت لي في العربية ، وما أحب كتبها الى نفسك ؟)

فأجابت : يؤسفني أنني لم أقرأ لها في العربية كتاباً ، وأرجو ان يتاح لي ذلك ، أما في الفرنسية فقد كانت تعجبي بكل ما تكتبه ، وأنا أشبهها بمدام دي ستايل في اثنتين ذكاتها المفرط ، ويقظتها الحادة

٨ — فسألتها : (ما هي ميول مي واتجاهاتها نحو الشرق والفكرة الشرقية)

فأجابت : مي هي أول امرأة شرقية رزقها الله علماً واسعاً واحاطة تامة بالعلم الغربي والتربية الغربية ، فقد مكن لها تمكنها من بضع لغات أجنبية ومكنت لها أسفارها وثقافتها الخاصة من هذا العلم الواسع ، ولكنها تركت السير في هذا الطريق بمحض ارادتها وخالص اختيارها . وكان تركها قوياً شديداً . وآثرت مي اختيار طريق الشرق واعتزت بذلك اعتزازاً كبيراً . ما كانت مي شرقية فقط بل كانت متحمسة للشرق متعصبة له . ولكن هذا الحب الشديد لشرقها وشرقيتها ما كان ليعمي عينها عن عيوب الشرق . فكانت تعرف مواطن ضعفه ، ومواقع وهنه ، وتأمل ان يقوى ويشدد . وتستطيع ان تقول ان أجلام مي وآمالها كانت كلها للنهضة الشرقية . وهذا الذي أقوله لك وأنقله عن مي لم أقرأه في كتاب من كتبها ، ولكنني عرفته من خلال ملاحظتي لحياتها ومتابعتي لأسلوب معيشتها

وكانت مي تجد في مفاخر الشرق القديم وفيما سلف من آثاره مجالاً واسعاً للتعبير عن جلاله ... وكانت سعادتها في ان تبقى دائماً « امرأة شرقية » . وكانت حريصة على هذه النسبة الى الشرق معتزة بها دائماً . وما رأيت في حياتي انساناً — ذكراً كان أو أنثى — أحب الشرق كما أحبته مي ، ولا تعلق بأسباب هواه كما تعلق

وكان واحداً من همومها وآمالها ان تترجم الكنوز الغربية الى لغتنا العربية لانها كانت ترجو من وراء هذا النقل في الافكار ، والاتصال في الآراء ، سعادة للشرق في آمله ، وتقديم له في نهضته . وكان ينشئها الكبرياء بشعورها القومي ، ولكنها تود ان يتقرب الشرق من الغرب ليفيد من ثقافته ويكتسب من حضارته . وكانت معجبة بأن تقول بملء فيها : « أنا شرقية » بكل ما تحتمله هذه العبارة من معان سامية واسعة . وكان مما يزيد هذه الناحية ظهوراً في مي أنها كانت محاطة ببعض الذين يميلون الى المظاهر الغربية . فكانت تتمتع تلك المظاهر الكاذبة وترثي للذين يحرون وراءها ، او يتشبثون بها . وكأنها في كل لحظة من لحظات حياتها وفي كل لون من ألوان عيشها ، وفي كل بقعة من الارض زارتها ، وفي الشرق اذا حلت ، وفي الغرب اذا اغتربت ، كأنها كانت تقول : أنا من الشرق والى الشرق أعود

حضرة صاحب الغزة

أنطون بك الجميل

رئيس تحرير الاهرام والعضو بمجلس الشيوخ

مَنْ في مصر يجهل مكانة أنطون بك الجميل الادبية ؟ ومن في البلاد العربية لم يصل الى أذنيه صوت أنطون الجميل حين يعلو منبراً ، أو يصطنع حديثاً ، أو يكتب مقالاً ؟ وعجيبٌ جداً أن يتناول الطون الجميل الادب فيكون فارس حلبته ، ويدخل معترك الصحافة فيكون ابن بجدتها ، وينزل في ميدان الاقتصاد فيكون خيراً في الأرباع والأعشار حريصاً على الدرهم والدينار ، ويلج باب السياسة فإذا هو البارع المحنك ، واللبيب المجرب ، والذي الألمي . له ضلعٌ في كل مسألة ، ومشاركة في حل كل معضلة ، فهو طلاع الثنايا ، وأخو النجدات ، وصاحب الغمرات . تراه في « الاهرام » في الصباح والمساء ، وفي الغدو والأصال ، دائماً لا يمل ، متحرراً لا يسكن ، نشيطاً لا يفتر . يكتب كلمة أو يقرأ مقالاً ، أو يستعرض كتاباً ، أو يصغي الى متحدث ، أو يتحدث الى مصغر ، أو يقصد في رجاء ، أو يدعى الى حفل ، أو يلقي على « محرر » أمراً ، أو يأخذ منه خبراً ... وهو في ذلك كله لا يفارقه لطفه ، ولا تزايله بشاشته ، ولا ينبو عنه حلمه

ورقة أنطون الجميل في أحاديثه هي رفته في كتاباته ومقالاته ، فهو يتخير في الحديث اللفظة المعسولة ، والكلمة المقبولة ، كما يتخير في الكلام حين يكتب وحين يتحدث . وقد يجتمع في مكتبه — في ساعة واحدة — طوائف شتى مناحي العيش ، مختلفو نواحي الثقافة ما بين أديب شاعر ، وكاتب ناثر ، وصحافي بارع ، ونائب محترم ، وشيخ جليل ، ووجه في قومه أو مقدم في عشيرته ، وعالم كبير ، وموظف خطير فتراه يستمع اليهم حيناً ، ويسمعهم حيناً آخر ، ويتلطف مع كل جالس ، ويهش لكل قادم . وهو في خلال ذلك يلقي الأمر الى « محرر » ويتلقى الخبر من « مخبر » ويتحدث الى « السرة » تارةً مع « صاحب الرفعة » وأخرى مع « صاحب الدولة » ... ثم يعود الى وصل ما انقطعه من الحديث مع زائريه ، فإذا هو عالمٌ بدقيقه وجليله ، محيطٌ بمجملته وتفصيله

كثر ما زرتُه وهو في شغل ، أو طرقت عليه باب مكتبته وهو في عمل ، وقد أنساني سابق لطفه ، ومأنوسُ بشره أنني أشقُّ عليه بالهجوم ، أو أثقل عليه بالدخول ، فإذا هو الرقيق اللطيف ، المتبسم المتهلل ، فأعذر له ببيت قديم لا أشك في طربه به وارتياحه له وهو :

فلا تعتذر بالشغل عنا فانما تناط بك الآمال ما اتصل الشغل
أخذت منه موعداً للحديث عن مي الى المقتطف ، وتمنيت على الله ان أظفر به وحيداً ،
وأستأنس به منفرداً ، وتمنيت على الله أكثر من ذلك ألا يعرض خلال الحديث ما يشغله ،
او لا يستحدث من الأمور ما يصرفه . فاذا الأماني هباء ... واذا المني سدى ... واذا انا
بالشاعر الكبير والاستاذ الجليل علي بك الجارم يجلس معه . فسلمت وسلم الجارم تسليم
البشاشة . وبدأت السؤال « والجميل » يجب ، والجارم « يعلق » . وانا بين الأديبين الكاسب
المستفيد والراجح الغانم . وتمّ الحديث . وأعلن « الجارم » انتهاء الامتحان ! وقد سماه
— في نكته البارة — امتحاناً . وما هو الا حديث عن « مي » وكانت رحمها الله حديثاً
حسناً لمن وعى ... ويخرج « الجارم » من جيبه قصيدة طويلة في رثاء المرحوم الشيخ الجليل
الاستاذ عبد الوهاب النجار ، ويشرفني بأن ألقياها فاذا فيها هذا البيت في وصف الدنيا : —
اذا أعطت فقد أعطت قليلاً ! ولا يبقى القليل ولا الأقل
والجارم بك هنا يقصد عدم بقاء المادة الجامدة والاجسام الفانية الزائلة ، أما حديث
الفضل والحسنات ، والروح والمعنويات فهو باق لا يدول ، خالد لا يزول كما قال الشاعر : —
تدول أحاديث الرجال وتنقضي ويبقى حديث الفضل والحسنات
وكذلك يبقى حديث « مي » الفاضلة المحسنة ...

١ — مآلته : (ما هي أولى ذكرياتكم عن المرحومة مي وكيف نشأت الصلة
الادبية بينكم وبينها)

فأجاب : عرفتيا وكلانا ناشيء في الأدب ، ولم يعبُد ذلك معرفة الاسم ، وقراءة
بعض الفصول مما كتبته مي ووقعت لي قراءته . ثم أهديت اليّ — وكنت يومئذ
أصدر مجلة الزهور — أول كتاب أخرجته أو أول ديوان من الشعر نظمته . ولم يكن ذلك
الكتاب عربيّاً . ولكنه كان أعجميّاً « فرنسيّاً » غير ذي عوج
وأسمته زهرات حلم *Fleurs de Rêve* . وهو اسم كما ترى فيه نضارة الزهر وقد
رصّعه الندي بالدر ، وفيه سعادة الأحلام وقد صحّبت

ولم توقع مي ديوانها هذا بصريح اسمها ، ومشهور لقبها ولكنها وقعت به باسم مستعار
هو (أيزيس كوييا) . ولاحظت — رحمها الله — في اختيار ذلك الاسم مطابقتها في المعنى
لاسمها العربي . فايزيس الالهة مصرية قديمة كانت أمّاً لهورس ، وهي تقابل « ماري أو مريم »
أم المسيح عليه السلام ، وكوييا كة لاتينية معناها الزيادة والكثرة ، وهي تقابل اسم أسرتها

«زيادة». ومن هذا الأصل اللاتيني جاءت الصفة Copieux بالفرنسية و Copious بالانجليزية وأتبعته مي هديتها الأولى الى (الزهور) بمقال عن الفريد دي موسيه ، فنشرت المقال في المجلة ، وكتبت كلمة عن ديوان شعرها جاء فيها : —

«عرف قراء العربية الكاتبة الأدبية «مي» مما نشرته من الروايات الجميلة والمقالات الشائقة والابحاث النفسانية الدقيقة في جريدة «الحروسة» . وقد اتحفنا بمقالة لطيفة عن «الفرد ده موسيه» نشرناها في غير هذا المكان من هذا الجزء

» وامامنا الآن كتاب شعر فرنسي رقيق ، في ذيله بضع صفحات نثرية جميلة تأليف «ايزيس كوبيا» وايزيس وهي شخص واحد ، والقلم الذي حبر المقالات والروايات العربية ، والريشة التي حاكت برده هذه القصائد الفرنسية ، تحملها يد واحدة ، ويعلى عليهما فكر واحد . والكتاب مجموعة ازهار عطرية نبتت في رياض الاحلام الجميلة ، وهي مهداة الى روح «لامرتين» شاعر القلوب الحزينة ، وهذه الروح المتألمة ترف على كل صفحة من صفحاته وتجعل الكاتبة تقول في قصيدة «هل هي شاعرة؟» ما معناه : البكاء والرأفة والحب والالم هذه هي صفات الشاعر وقد ظهر من الموضوعات التي طرقتها الكاتبة انها لا تصف الا ما ترى ، ولا تعبر الا عما تشعر به . فجاءت منظوماتها صورة حقيقية لما يشغل فكرها ويحرك قلبها ، ولذلك انت تشاركها عند تلاوة اشعارها في هذه العواطف أيّا كان رأيك في القالب الذي سبكتها فيه . فلا تمالك من ان تصبو معها الى مصر ونيلها وآثارها وسهولها ، ونحن معها الى لبنان وجباله وأوديته . واذا كانت «ايزيس كوبيا» شاعرة في نظمها فقد وجدناها أشعر منها في تلك الصفحات النثرية التي ختمت بها «أزهار احلامها» حيث لم تعد مقيدة بقيود القافية والوزن ، وكثيراً ما تكون الازهار المنشورة أجل من الازهار المصفورة

وكان مقالها الأول في «الزهور» باكورة توالى بعدها اثر الجني ، ووسميّا من المطر جاء بعده الغيث المنهمر ، فتابعته نشر الفصول التي أذكر منها ، ذكرى بعلبك ، والغنى ، ودمعة الروح ، وكيف نقيس الزمان الخ ما نشر هنالك . تلك أولى ذكرياتي عن مي ، وذلك مبدأ الصلة الأدبية بيننا وكان في منتصف عام ١٩٢٥ أن نشرت (مي) دعوة الى الاحتفال بعيد المقتطف الحسيني بعد أن أثارت هي نفسها المناقشة في جعل هذا التكريم للمقتطف مظاهرة أدبية كبيرة في الشرق باشتراك الأمم الشرقية فيه ، وقد لبى نداءها ، وأجاب داعيها نفر من أهل العلم والفضل أذكر منهم الدكتور محمد حسين هيكل بك (باشا) وصاحب الفضيلة السيد مصطفى عبد الرازق (باشا) وتوفيق رفعت باشا وأحمد لطفي السيد (باشا) ، والرحوم احمد بك شوقي امير الشعراء والرحوم السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار ، والاساتذة عباس محمود العقاد و ابراهيم المازني وسامي الجريديني

وإدجار جلاد . واجتمعنا الاجتماع التمهيدي الأول في منزل مي ، وألقت علينا خطبة في وجوب التكريم ووجوب اشتراك الأمم الشرقية والأخوان البعيدين في المهرجان فيه وكانت لها في أول اجتماع الكلمة الأولى ، وأذكر من كلماتها قولها (يتهمون المرأة بأنها تحب أن تكون لها الكلمة الأخيرة دواماً ، فدفاعاً عن بنات جنسي قلت أنا الكلمة الأولى ، لنغت اللثغة الأولى ، ولنكن الكلمة المحكمة الحصيفة النهائية لحضراتكم أيها السادة الرجال) ووافق سعادة أحمد لطفي السيد باشا (بك يومئذ) على كلمة مي ، وتألقت اللجنة من صفوة الرجال وخيرة العلماء والإدباء . وشرفتني بأن عهدت إليّ في تنظيم الحفل وتنسيق العمل مع الآنسة مي ، فقمنا بهذا العمل معاً ، وقدر الله النجاح ليوبيل المقتطف ، وتم الاحتفال على صورة كرمنا فيها الاخلاص في العلم ، والثبات والتضامن في الجهاد الأدبي . ولا شك في أن نصيب مي في تكريم المقتطف مما لا ينسى وأن طال به الزمن . ومنذ ذلك الحين توثقت العلاقات بيني وبين مي ، واستحكمت الصلة الأدبية بيننا ، فقد عرفت فيها — في خلال تنظيم الحفل — نشاطاً نادراً ، وجهداً عجيباً . وما رأيتهما — مع ما اقتضاه ذلك التنظيم من عمل وسهر — اشتكت نصيباً ، أو ملت تعباً ، أو وهنت لها قوة ، أو سكنت لها حركة

٢ — فسألته : (هل كانت مي تحتفي بالأدباء في ناديها احتفاءها بالوزراء ورجال السلك السياسي ، أم كان لهم عندها مقام ثانوي الشأن ؟)

فأجاب : كان نادي مي مثال الاندية الأدبية الراقية ، فكان الصدر فيه للأدباء ، والحل الأول للعلماء ، أما رجال السلك السياسي وأصحاب المناصب الكبيرة فكانوا يغشون نديها ويطرقونه على الغالب بصفة كونهم يسايرون الحركة الفكرية والأدبية ، ويهتمون بما جد فيها من جديد ، أو ظهر فيها من تطور . وكانت مي في الحفل الحافل من زوارها ، وفي هذا المزيج المختلف من رواد مجلسها بارعة في توزيع الكلام ، لبقة في توجيه الحديث وفسح المجال أمام كل زائر ليقول كلمته أو يبدلي برأيه أو يذهب في الجدال مذهبه فلا يشعر أحد في هذه الاجتماعات أنه غريب على المجلس أو دخيل فيه . ولعل الجميع يذكرون الأبيات التي قالها المرحوم اسماعيل باشا صبري

روحي على دور بعض الحي هائمة كظامي الطير توّاقاً الى الماء
ان لم أمتع بمي ناظري غداً أنكرت صبحك يا يوم الثلاثاء

٣ — فسألته : (هل شغلت الاحداث السياسية يوماً ما الآنسة مي عن

الأدب أم شغلها الأدب كل أيامها عن السياسة ؟)

فأجاب :- لم تشغل السياسة ميًّا قط عن الأدب ، وكانت تتحاشى الخوض في غمارها أو الدخول في معتركها . ومع ذلك كانت تقرأ معظم الصحف السياسية ، وتتبع أخبار السياسة وتساير تطوراتها فإذا جرّ الحديث في ناديها الى السياسة والساق الزائرون في تيارها ، وانتقل الكلام من دولة الآداب الى دولة الأحزاب ، رأيت ميًّا وقد تحولت الى الاصغاء ، واتجهت الى الانصات وأعرضت عن الكلام جانباً . فإذا ما تناولت الاحداث السياسية في كتاباتها تناولتها من حيث أثرها في الحركة الفكرية والنهضة القومية لأنها كانت كثيرة الاعتزاز بشريقتها

٤ - فسألتها : (ما هي أجمل الصفات التي أعجبتكم من مي كفتاة مثقفة لنعرضها

على فتياتنا المثقفات)

فأجاب : جميل الله ميًّا بصفات كثيرة ووهبتها الطبيعة بسخاء ، ولعلّ ما يجمل بفتياتنا المثقفات ان يأخذنه عن مي شغلها بالدرس والتحصيل من غير اهمال واجباتها الأخرى ، والعمل الدائم على استكمال ثقافتها من جميع مناحي النشاط الفكري ، والتمسك بعاداتنا وتقاليدنا وأخلاقنا الشرقية على كثرة ما كانت عليه من مسaire الحضارة الغربية والاطلاع على مظاهرها ولعلّ هذا الحفاظ من مي على تقاليد الشرق وتمسكها بعاداته يبدو متناقضاً مع ثقافتها الأجنبية الواسعة ، ولكن ليس بين الاثنين تناقض ، فقد طغت فكرة الشرق على تفكيرها فألزمتها بعادات أهلها وتقاليد قومها . فهي لم تدرس ثقافة الغرب لتنسى قومها ، ولم تطلع على حضارة الغرب لتتخلى عن مقومات قوميتها وخصائص شريقتها

٥ - فسألتها : (للآنسة مي مقال عنوانه « كن سعيداً » ترى فيه السعادة في الشباب والهرم ، وترأها في الغنى والفقر وفي الصحة والمرض . فهل كانت مي سعيدة على العلات واختلاف الحالات ؟)

فأجاب : هذا سؤال تصعب الاجابة عنه لأن ميًّا لم تكن لتكشف الستار عن مطويات نفسها ومكنونات قلبها بسهولة . وهل عرفت أنت يا صديقي انساناً كان سعيداً على العلات واختلاف الحالات ؟ وهل يظل الانسان انساناً اذا لم يتألم ويشق ؟ على انه قد تكون في الشقاء لذة كما تكون في السعادة . وما قيمة الحياة اذا جرت على نظام واحد ، ونسق رتيب ؟ وأين إذن حلاوات الجدة بعد الحرمان ؟ ولماذا ذات الهدوء بعد ثوران ؟ وقد يكون الانسان سعيداً في هرمه كما يكون في شبابه . ألم يقل المتنبي :-

خلقت ألوفاً لو رجعت الى الصبا لفارقت شيبي موجه القلب باكياً

٦ - فسألتها : (هل كانت ثقافة مي آتية من اطلاعها على الادب الحديث ومتابعتها

لحركة الادبية المعاصرة؟ أم استكملت عناصر ثقافتها بدراسة الادب العربي القديم؟
فأجاب : الثقافة عند أمثال ميّ الذين يقرأون ويطلعون كثيراً متعددة المصادر . على أنه
يمكن القول اجمالاً إنها كانت أكثر شغفاً بالاطلاع على الأدب الحديث ومسايرة الحركة
الفكرية والادبية المعاصرة عند مختلف الأمم الشرقية والغربية

ولا يعني ذلك أنها اهتمت القديم ، فقد طالعت كثيراً في أدب الأغريق والرومان —
أدب أثينا وروما . وكانت متبعة الأدب العربي الحديث وخاصة أدب المهجر

٧ فسألته : (هل كانت ميّ ممن يفرهنّ الثناء ويعجبهنّ الاطراء ؟ وهل

كانت تزهى بما تكتب أو تعجب بما تنشئ ؟)

فأجاب : — دعني أطرح عليك سؤالاً بدوري : —

هل تعرف أنت يا صديقي احداً لا يستطيب الثناء ، ولا يستلذ الاطراء ، ولا سيما الأديب
إذا رأى أنه يضرب على وتر قلبه فتهتز له أوتار القلوب ، ويترجم عن عواطفه فمتحرك له
مواطف الآخرين

ان في ذلك اكبر تعزية للكاتب ، وأعظم اجر يتقاضاه عن عنائه الدائم وجهده المتواصل
وليله الساهر وصباحه الباكر . واذا كان يتألم فألمه لأنه لم يوفق الى إبراز فكره وشعوره
كما يريد . غير ان هذا الرضى وهذه الغبطة يجب ألا يبلغا مبلغ الغرور ، ويصلا الى حد
الاختيال . ولم تكن ميّ من الغواني اللاتي قال عنهنّ شوقي بك (والغواني يفرهنّ الثناء)

٨ — فسألته : (ما رأيكم في رسائل ميّ)

فأجاب : — رسائل ميّ يجب الاحتفاظ بها لأنها نوع جميل من أدب الرسائل في الأدب العربي
ففي الأدب الفرنسي رسائل لأمثال فلوبيرو وثولتير وغيرها ، وفي هذه الرسائل تستطيع دراسة
الكاتب أكثر من دراسته في مؤلفاته . وعندي لميّ بضع رسائل أعتز بها لأنها أثر باق من
آثارها . ولقد رأيت فيما رأيت من مخططاتها ظرفاً خاصاً برسائل ولي الدين يكن

ورأي أن تجمع رسائلها الى من اتصلوا بها ، ورسائل المتصلين بها اليها ، وتنشر في
كتاب خاص ، ففيها ولا شك ثروة كبيرة ، وراث أدبي نفيس

رحم الله ميّاً ، لقد كانت على اطلاع واسع الحدود ، فسيح المعالم ، وكانت شخصيتها
تنب مستقلة من خلال أفكارها وكتابتها . فما قلدت كاتباً ، ولا حاكت مؤلفاً ، ولكنها
ترجمت خليجات نفسها ، ووحى ضميرها ، وسر شعورها . وكانت رفيعة في نقدها ، رقيقة
في مخالفة رأي غيرها . فما آذت شعوراً ، ولا جرحت احساساً

حضرة صاحب العزة الدكتور

منصور فهمي بك

مدير دار الكتب المصرية

الدكتور منصور بك فهمي مدير لدار الكتب المصرية ، تلك الدار التي اجتمعت فيها كنوز الفكر العربي ، وانتهى اليها مذخور الآداب ، ومتنخل الأفكار ما بين مطبوع ومخطوط . وقد كان الدكتور قبل ذلك أستاذاً في الجامعة المصرية وله تلاميذ كثيرون استفادوا بعلمه ، وانتفعوا بأدبه . وله مكان ملحوظ في عالم الفكر العربي ، وهو بغير شك — الى جانب ناحيته الفلسفية — من زعماء الادب في العصر الحديث

وقد أشار الدكتور تشارلس آدمز مؤلف كتاب « الإسلام والتجديد في مصر » اشارة طيبة الى الدكتور منصور فهمي في خلال كلامه عن الجيل المعاصر من المحدثين . وأشار الى كتابه « خطرات نفس » بأنه مقالات تكشف عن خلق وراقي ورعاية للدين وتهكم بالمحافظة الجامدة واحترام لحرية الفكر ولحق الفرد في استخدام مواهبه العقلية . عرف الدكتور منصور فهمي كثيراً عن مي ، وقرأ كتبها ومقالاتها ، وأعجب باثنتين فيها : أسلوبها المصقول وشرقيتها المتحمسة . والحديث الى رجل مثله — في إيمانه بما يعتقد ، ومصارحته بما يرى ، وفي متانة خلقه وتقديره للقيم الاخلاقية العالية — مما يحلو على الأذن ويطيب على القلب

وفي كل اشارة من اشاراته في عرض الحديث ، وفي كل كلمة من كلماته قوة كامنة .. فهو محدث قوي الايمان بما يقول ، شديد الثقة بما يذهب اليه . يمضي في الحديث أول ما يمضي على فطرة سمجة جميلة وطبيعة سهلة لينة ، لا يسبهم عليه لفظ ، ولا يشكل عليه تعبير ، ولكنه قد يضطر أحياناً الى الوقوف وقفة قصيرة ليبحث عن كلمة مناسبة او لفظة موافقة او للعدول عن تعبير الى تعبير ، وهنا يرتفع صوته ويزداد قوة حتى لتحس ان كل جراحة من جوارحه تتكلم ... وكان حديث الدكتور معي طويلاً لذيذاً ، قطعتُه فترة طويلة لصلاة الجمعة . فاذا بنا ننقل من مكتبه في دار الكتب الى مسجد جماعة الشبان المسلمين التي لها من جهاده نصيب . واذا بنا أمام الله في خشوع المؤمن ، واستسلام المسلم ، واذا الدكتور يجلس الى

ما بعد الصلاة في المسجد ليستمع الى كلمة سواء يقولها واعظ ديني ثم تطول الكلمة ويطيل الواعظ ... وقد يمل بعض السامعين ، وقد ينصرف بعضهم وينتشرون في الارض يبتغون من فضل الله ... الا منصور فهمي . فهو باقٍ وأنا معه حتى يفرغ الواعظ من عظته وينتهي من كلمته فيتقدم اليه الدكتور ويهنئه على حسن توفيقه . ونعود بعد الصلاة نستأنف الحديث عن «مي» في ركن مشمس من أركان القاهرة .. وهناك في ذلك الركن البعيد يفيض الحديث ، وينتقل من مسألة الى مسألة ، ومن سؤال الى سؤال ، ولكل سؤال عند الدكتور جواب ...

سبحان الله ! كلمة سمعتها من صديقي الاستاذ احمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة الغراء وكنا ضيوفاً على الدكتور منصور بك في بيته الجميل بالريف في رهط من العلماء والأدباء . ونودي — بعد الغداء على مائدة كريمة سخية — لصلاة العصر ، فاذا الدكتور منصور يتوضأ ، واذا بنا نستعد جميعاً للوقوف في صفوف مستوية خلف أحد الشيوخ الأجلاء

وبعد الصلاة يلتفت اليّ أخي الاستاذ الزيات قائلاً « سبحان الله ! . منصور فهمي الذي أثار رسالته في جامعة السوربون عن المرأة في الاسلام ثائرة الناس عليه ، يقف للصلاة ، ويحرص عليها في حينها فلا يحزى عنده في الصلاة القضاء عن الأداء » فأرد عليه قائلاً « ياسيدي ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء »

وفي الساعات الطويلة الممتعة التي قضيتها مع الدكتور منصور فهمي بك للتحدث الى قراء المقتطف عن «مي» ذكرت كلمة الزيات وقد تردد في أذني صداها فقلت : سبحان الله : منصور فهمي الذي قضى في فرنسا بضع سنوات ، وشاهد الغرب ، وتعلم على أساتذة الغرب ، ودرس فلسفة الغرب ، وقرأ كثيراً من كتب الغرب ، يعود الى الشرق الروحاني السامي روحانيًا ساميًا ، ويؤمن بمنله العالمية ، وقيمة العظيمة . ويرجع الى الشرق رجلاً محافظاً في تجديده ، مجدداً في حفاظه ، فيتحدث عن شرقية «مي» وعن محافظتها ، وعن اعتزازها بشرقيتها فكأنما كان يتحدث عن نفسه ، وعن شقيقته ، وعن حفاظه

كان حديث منصور بك فهمي صدياً لأخلاقه القوية ، ورجعاً لروحه الشرقية المعتزة بكل ما في الشرق من مثل عالية ، وفضائل سامية ،

١ - سألته : (ما رأيكم في مي السكاتبة ، ومي الصحافية ومي المحاضرة ؟)

فقال : انني أعدُّ الطريقة التي جرت عليها مي في كتابتها مما يصح أن يكون مثلاً للكتابة الراقية . لأن ميًّا كانت تمكِّن لما تكتبه بشئى الافكار العالية ، والمعاني الشريفة التي خلصت لها من ثقافة عريضة واسعة ودراسة طويلة جادة . ولم تكثف مي بالفكرة المتمكنة ، والمعنى الدقيق والرأي المنخول ، بل كانت تعنى فوق ذلك باختيار الألفاظ الملائمة ، والعبارات الموائمة لتساوق هذه الالفاظ المتألقة المتجانسة في سلم موسيقية تتردد في اذن السامع أو القارئ رنيناً موقّعاً ، ولحناً مؤثلقاً ، فلا يحس نبوءاً في لفظ ، أو خشونة في تعبير

ولقد كان لهذا الأسلوب المتميز ، المختارة الفاظه ، المنمقة عباراته ، جرس جميل في اذن السامع ، ووقع حسن في نفس القارئ وكثيراً ما كانت توفق مي في هذا السبيل ولقد أعجبت بالأنسة محاضرة كما أعجبت بها كاتبة ، فقد كانت في ذلك المضمار مجلبة ، ولا أعدو الحق اذا قلت أنها كانت محاضرة من أرقى طراز وأعلى غرار . ولعل أسباباً كثيرة اصطلحت على تفوقها في ذلك الميدان ، فقد كان لها من عذوبة صوتها ، وحسن ادائها ، وحلاوة قائمها ، وسامتها وحسن سماتها معين على ذلك . وكانت تميزها حين تقف للخطابة في حفل أو المحاضرة في جمع ، ثقة بنفسها ، واعتداد بشخصيتها ، فما عرفت أنها تهيبت منيراً ، أو خشيت موقفاً ، أو غشيتها سحابة من جنب أو جلالتها غمامة من خوف . بل كانت دائماً الواثقة الشجاعة أماً مي الصحافية فلا علم لي بهذا ولم يستح لي أن أختبرها محترفة للصحافة أو مبرزة في فن هذه الصناعة ، فانا أعتقد أن الصحافة فن خاص له مقتضياته وأساليبه

٢ - فسألته : (هل تذكرون عن مي الطالبة بالجامعة المصرية القديمة ما يصح أن يكون مثلاً للطالبة بالجامعة المصرية الحديثة ؟)

فقال : أود لو كان عندي عن مي الطالبة بالجامعة نبأ أقصه عليك ، فقد يسرني أن لو أتبع لي ، أن أكون أستاذها في ذلك الحين وأن تكون تلميذتي ، ولكنني كنت بعيداً عن الجامعة في ذلك الوقت (فقد كان عزته عضواً بالبعثة المصرية في فرنسا ولما عاد بعد اتمام دراسته وانجاز رسالته لم يتصل بالجامعة مباشرة)

٣ - فسألته : (هل تعتقدون ان ميًّا نجحت في أداء رسالتها الادبية ، واذا كان ذلك فما هي أسباب نجاحها ؟)

فأجاب : أعتقد ان النجاح كتب لمي في أداء رسالتها الادبية . ذلك لأن ميًّا عاشت

في عصر تقدمت فيه النهضة النسائية من حيث فك القيود وكسر الأغلال التي قيدت بها المرأة في هذا الماضي القريب . ومع أنها هي نفسها انطلقت من هذه القيود استجابة لداعي التطور ووفقاً لحاجات العصر التي كانت لا بد أن تحملها من هذه الأغلال وتفكها من هذه القيود، فإنها بالرغم من ذلك دعت بنات جنسها ألا يتمادين وراء هذه الحدود وألا يسرفن في الاندفاع والتهور ، فأرادتهن على ألا يبالغن في الكفاح السياسي ، كما أرادتهن على ألا يضعن حق الأنوثة ، أو يغفلن واجبات الأمومة

فكانت رسالتها في الحق دعوة مخلصة صريحة لأخواتها في الجنس ، وزميلاتها في الأنوثة وكان سبيلها في الدعوة الكتابة ، فهي كفتاة كاتبة قد خصصت شبة قامها لنشرة دعوة آمنت بها وحرصت عليها ودافعت عنها باخلاص وصدق . فهي من هذه الناحية قد نجحت وأدّت رسالتها — كمرأة — في حسن بلاء ، وصدق لصال

ولعل ميًّا نجحت في هذه الدعوة لأن المترنات من النساء ممن أصبن حظاً غير قليل من المعرفة ، وأدركن ما كنَّ يطمعن فيه من الثقافة والتحرير كنَّ يرين ما رأيت مي ، وينزعن في الاعتدال منزعهما ويذهبن إلى ما ذهبت إليه من الحفاظ وعدم التفريط في خصائص المرأة أو التهاون في مميزاتهما ويملن إلى الاحتفاظ بسر أنوثتها وقديسية أمومتها

فضلاً عن أن « ميًّا » الشرقية بلحمها ودمها ، والتي أدنى إلى ان تصل كتابتها إلى الشرقيات ، قد يساعدها في قبول ما كانت تؤمن به وتدعو إليه تلك النزعات الشرقية الكامنة والوزانة القديمة التي لا أشك في أنها أصون لمكانة المرأة من النفوس ، وأحفظ لمزلتها من حيث السمو والكمال

(وهنا اشتدَّ تحمس الدكتور لفكرته وبان ذلك في صوته الذي كان يهدير كالسيل ، ثم تابع كلامه قائلاً) :

نحن نريد المرأة كما وصفها امرؤ القيس الشاعر الضارب في مجاهل البادية بقوله :
(وبيضة خدر لا يرام خباؤها)

نريد في المرأة معنى التصوُّن والتحصن الذي وصف الله به الحور العين في الجنة بقوله :
(كأمثال اللؤلؤ المكنون)

نريد في المرأة معنى التحفظ لا معنى التبذل ، حتى يصح معنى القصر في قوله تعالى :
(حورٌ مقصوراتٌ في الخيام)

ولعل من أسباب نجاح دعوة مي استعداد الشرق الوراثي ، والاستعداد الطبيعي في غريزة المرأة — هذا الاستعداد الذي ينزع بها دائماً لتملك بما آتاه الله من رقة ، وحباها

من حنوٍّ، وأودع فيها من ضعف هو القوة بعينها لقد سلَّح الله المرأة بسلاح يشبه الضعف من غير أن يكون ضعفاً . ففي قوته من الرقة والدعة واللفظ والأنوثة والجمال والحرمة المقدسة ما يجعل للمرأة مكاناً قدسياً، ومحلاً فيه من جلاله التقديس، وطهارة التزييه ما ينبغي أن يحول بينها وبين الامتهان والابتذال . المرأة أم الأبناء، ومستودع الدراري فلا ينبغي العبث بحرمتها . المرأة في مكان السمو، ومنزلة العلو، جعلها الله موضع إرادته، وسر مشيئته في تنمية الوجود، وحفظ النسل، واستمرار النوع، فهل يليق بعد ذلك أن تحل حرمتها، أو تتمن قداستها ؟

٤ — فسألته : (ما هي أجمل النواحي الاخلاقية التي كانت تعجبكم من مي ؟)

فقال : لقد كانت نواحي مي كلها جميلة معجبة ، فلا أدري أيها أذكر وأيها أَدع . كان فيها لطف وكياسة ، وكانت مصقولة الطباع ، رقيقة الحاشية ، حتى لتكاد تفيض رقة . وأخص ما يعجبني منها زعنان : الاولى انها كانت متحمسة لكل ناحية من نواحي الاحسان ، فكانت أحسن الله اليها — على فقرها وقلة مواردها تتحمس للمعروف ، وتتسابق الى الاحسان وما يذكره لها أنها كانت في كل حفل من محافل الاحسان تشترك بما تستطيع من مال او مقال ولو قد آتاها الله بسطة في المال وسعة في الرزق ووفرة في الغنى لكان لها في عالم الخيرات والاحسان مكان يشار اليه بالبنان

والزرعة الثانية هي زعنها الروحية الدينية الراقية ، فما كنت اعرف عنها استهانة بما في الاديان من خير وجمال ، او بما في الروحانيات من سمو وجلال

٥ — فسألته : (يتحدثون عن اعتزاز مي بشرقيتها واعتدادها وفخرها بهذه النسبة على الرغم مما أتيح لها من ثقافة غربية ومعارف أوربية فهل عند عزتكم من ذلك أنباء ؟)

فأجاب : — كسبت مي من الغرب طرائق البحث وطرائق الاتجاه ، أما المثل الشرقية العليا فقد وجدت مي فيها كفايتها وحاجتها وشفاء ما في نفسها من تَوَقُّق الى المثل الرفيع ، والمثال الكامل . ولا شك أن مثل الغرب العليا على ما فيها من خير — تكاد تكون محصورة في نتائج مادية آلية صناعية علمية . على أن هذه المثل الغربية على ما فيها من تغلب المادة وتحكم الآلة

لا ينكر وجهه الخير فيها . اما المثل الشرقية فهي مثل أنسانية روحية سامية
هي مثل الحب والوفاء فيه

هي مثل الدعوة الى الخير والاستمرار فيها

هي مثل الروح تسمو عن سفاسف المادة . وتتعالى عن مواطىء الاجسام
هذه المثل السامية وجدت من قلب مي الفناة الشرقية استجابة اكثر من استجابتها
الى صلصلة الماديات وجرس الآليات
ولذلك هامت مي بالشرق ، ونادت بالروح الشرقية . ونهت الراقيدين أو السابحين في
الاوهام الى الاستجابة لهذه الدعوة

وكانت دعواتها وصيحاتها تتردد في كتابتها عن الشرق . ولقد اعترفت مي بضعفه المادي
وفقره ، واقفاره من المظاهر السائدة الخلافة التي تظهر بها المدنية الغربية في ثوب موشى
مزركش . ولكن مع اعترافها بهذا الفقر في الشرق ، وتسليمها بالافقار السائد في مظاهره
البادي في نواحيه فقد وجدت أن وثباته الروحية وتطلعه الى معاني الخير ومعاني الرحمة
ومعاني الجمال وأن نزوعه الى السمو الروحاني هو أسمى بكثير من نزوع الغرب الى معاني
القوة ومظاهر المادة

ولعل هذا يتساق مع طبيعة الانوثة الرحيمة ، طبيعة المرأة الرقيقة ، والانسانية البارة
الخيرة التي تمثلت في مي بشراً سوياً
واذا كنا لا ننكر على مي ثقافتها الغربية ، ولا ننكر عليها استفادتها منها من حيث
الطريقة والاتجاهات ، فاننا لا ننكر عليها أيضاً حقها — كأمراة وكشرقية — أن تهيم
بالشرق الذي قالت فيه

(انها السماء التي أوحى بأعظم الرسالات الى الانسانية ، وأظلت تفشح الحياة وسيول
الوحي والنبوءات .. لأنك عيّنت — ايها الشرق — لتكون الوطن الاول للعبقريات
الاولى وللابطال والمهمين !

.... نهوضاً ايها الشرق ! حولك يناضل الاقوياء ويفوزون مجدين نفوسهم في تأليه
الغلبة ! فهلا سمعتمهم مع ذلك يئنون في الظلام : « الى متى ننتظر الفجر الذي سيسطع ؟ »
.... أنت برج الضياء ، ايها الشرق !

انت موزع أشعة الحياة !

في كانت تحب الشرق وترغب في مثله وتتناثر بطرائق الغرب من غير اندفاع في تياراته ومن
غير اغفال للنواحي الشرقية السامية . وهذا أكبر دليل على أنها لم تكن مقلدة تقليداً أعمى

فقد عرفت كيف تستفيد من الغرب من غير أن تهمل الروح الشرقية

٦ - فسألته : (ماهي أجمل ذكرياتكم عن مي ، وما آخر رؤيتكم لها وعهدكم بها ؟)

فأجابني : لعل أبقى آثار مي في نفسي أنها كانت تحدثني عن بعض خطراتي حديث الفاهم لها المدرك مرامها ومغازيها . وكانت تصارحني بعجائبها بتلك الخطرات ، وكانت هذه المصارحة بالعجائب تتكرر كلما لقيتها ، مما دلني على ذوقها الفني واتجاهها الفكري . وكنت أرتاح الى ما تبديه من اعجاب ، لاظفراً بالثناء أو طرباً للإطراء ، ولكن لشيء أسمى من ذلك قيمة وأبعد مرمى ، لأن هذا الاعجاب الذي كنت أرى فيه صدقه واخلاصه وبعده عن زخرف القول وزور الرياء كان يدل على الأقل على أننا توافقنا في المعاني التي نكتب فيها والمذاهب التي نذهب اليها

لقد كانت مي صادقة في ثنائها على أسلوب وكتابتي ، وكنت أعرف فيها هذا الصدق وأتبينه ، وأحسّه في كل كلمة تقولها لي ، او عبارة تكتبها اليّ ، فقد كتبت اليّ بما ينم على هذا في إحدى رسائلها الخاصة

وأخر ذكرياتي عنها أنها زارتني في دار السكتب بعد عودتها الأخيرة من لبنان وكان في صحبتها أميرة لبنانية فاضلة وأخذنا بأطراف الاحاديث بيننا وذهبنا في القول مذاهب شتى الى أن جرّ الحديث - وهو ذو شجون - الى شعوري في فقد ولدي (وهنا بدا التأثير على محدثنا الفاضل بارك الله له في البقية الصالحة من اولاده وأقرّ بهم عينه) . وكنت أشعر في عرض الحديث أن ميّا كانت تشاطرنني مخلصة هذا الاحساس العميق . فكأنها كانت أرسلتها الاقدار في هذه الساعة لتخفف الوجد الذي أجده حينما أثّرت ذكرى ولدي

ثم أخذت تتجه في كلامها اتجاهات هي الى الفلسفة أدنى منها الى العاطفة ، وهي الى الحيرة في فهم أحكام القضاء والقدر أقرب منها الى التسليم بالواقع المحتوم ، والقضاء المبرم

وكانت مي في الشام في عزلة قاسية ، ووحدة مضنية بعد ان اصطلحت عليها الآلام والأحزان وحافظتها الوسوس والأوهام - مما يعرف القراء الأفاضل نبأه في حينه - وكنت أنا أزور الشام في ذلك الحين ، فرغبت في لقاءها ، ولكنها كانت في عزلتها لا تلتقي احداً ، ولا تقابل انساناً

وحدثني امين الريحاني بعض الحديث عنها ، وأخبرني انها كانت قريبة منه في الفريكة

وأودُّ هنا وأنا في معرض الحديث عن ذكرى مي، أن أقرن ذكرها في عزلتها ببقائي لامين
الريحاني الذي ترك في نفسي أثراً طيباً
ولقد مات الريحاني وسار الى الغاية التي يسير اليها كل حي، وحمل على الآلة الحدياء التي
يحمل عليها كل ابن انثى وإن طالت سلامته ... وماتت بعده مي كما تموت الزهرة بعد ما
كانت متفتحة بالامل، فوَّاحة بالشذى، مخضلة بالطلّ الندي
ولو عاش الريحاني بعدني، وقدر له ان تستأنى خطواته الى الأبدية بعد خطواتها فلعله
كان أولى الناس بالحديث عنها، وأجدرهم بأن يقص على الادباء سيرة من جهاد مي وكفاحها
في سبيل تحقيق مثلها العالية

أنت تسألني عن أجل ذكرياتي عن مي ولم تسألني عن أحزن ذكرياتي عنها كأنتك تناسيت
ما تثيره الذكريات الحزينة في نفوسنا من لداذة الذكرى، لقد كنت في لبنان ضيفاً على امين
الريحاني ساعة من الزمان كنت أنا وزوجي وابني فيها في بيته وضيافته، وحدثنا الريحاني
عن مشاهداته ورحلاته، وحدثنا عن ذكرياته في بلاد العرب وحدثنا عن مي وعزلتها
واستيعاشها، فكانت ساعة امتزجت فيها أجل المحادثات بأحزن الذكريات ...

٧ — فسألته: (أي نوع من الكتب كانت مي تقرأ، وإلى أي حد بلغ
شغفها بالمطالعة؟)

فأجاب: لعل ميًّا نفسها أجابت عن الشق الاول من سؤالك في مقدمة الكتاب الذي
ترجمته باسم (ابتهامات ودموع). فقد اشارت في المقدمة الى النوع من الكتب الذي تحبه
وتخصه بالايثار. أما شغفها بالمطالعة فقد كان كثيراً لاحد له، ولعل هذا هو السر في اتساع
آفاق تفكيرها، وانفساح المدى امامها. وكانت شهوة المطالعة عندها لا تقف عند حد ولا
تنتهي الى غاية، ولهذا درست كثيراً من اللغات الاجنبية وتمكنت منها وكانت تلتهم
الكتب كما يلتهم النهم لقمة من الراد، أو كما يزدرد الجائع كسرة من الخبز، وكان لها مكتبة
خاصة تعتمد عليها وترجع اليها أكثر من رجوعها الى المكتبات العامة
وكانت مي تعتز بمكتبتها الخاصة اعتزازاً كبيراً، وتعتني بها عناية كثيرة، وتزودها كل
يوم — على حسب موارد — بما يظهر من كتب، ويجدُّ من تأليف. ولا أعلم مصير هذه
المكتبة بعدئذٍ

٨ — فسألته: (عرفتم ندي مي أو صالونها الادبي، ألا ترون ان يكون مثلاً

للأندية الخاصة بدلاً من تلك التي يكثر فيها الكلام واللغو والتأثير ، ويشيع فيها القيل والقال ؟)

فأجاب : لاشك ان منتدى مي أو « صالونها » كان حافلاً بنواح أدبية ، ومتملئاً بأشتات من العلم وألوان من الثقافة ، ولكني كنت أتمنى ان يكون هناك أندية « صالونات » نسائية بحتة ، يشيع فيها الأدب والتفكير الراقى على ما ينبغي ان يكون بين المتأديات المثقفات من الآنسات والسيدات ، والبنات والأمهات ، كما تكون هناك أندية أدبية بحتة تجمع بين الشيوخ والشيوخ أو بين الشباب والشباب ، او بين الشيوخ والشباب ويشيع فيها كذلك الأدب الراقى الرفيع من غير حاجة الى كثرة الاختلاط . اما اذا اقتضى الأمر الاختلاط فليكن بمقتضياته وظروفه ومكملاته بحيث لا يندس في هذا الاختلاط من لا حصانة تعصمه من كل ما يخل بأداب الاختلاط الراقى ، ليس بالنسبة الى الآداب الظاهرة فقط ، بل في الدقائق الخفية ، وفيما يبدو عليه من القول والاشارة والعبارة ، وفيما يخطر على خفايا النفس من التصورات الآثمة والمضمرات السيئة

ولقد كان منتدى مي راقياً لأنها كانت راقية بأخلاقها ، سامية شريفة في افكارها ، وليست كل فتاة او سيدة قديرة على ان تشيع في نديها الخاص — لو كان لها ندي — ما كانت تشيعه مي في منتهائها من أدب ومحافظة . ولعلي لا أعدو الصواب إذا قلت انه في العصر الحديث وجدت منتديات نسائية مبهمة منتدى مي ، حتى ان بعض الأميرات المصريات من البيت المالك وهي الأميرة « نازلى » كان يغشى مجلسها أمثال قاسم امين وسعد زغول والشيخ محمد عبده

ولعل مجلسها كان يشيع فيه الأدب الراقى ، وتتناول فيه المسائل الاجتماعية العالية ، وتدار فيه الأحاديث الرفيعة في ألوان من الأدب ، وأنواع من البحث . فليست مي هي البادئة بهذا في العصر الحديث وقد سبقتها الى هذا فيما نعلم اميرة مصرية فاضلة . وقد يكون هناك بعض السيدات الفضليات ممن سبقن مي الى انشاء هذه الأندية الأدبية ، ولعل ميّا اشتهرت « بصالونها » لأن بابه كان أوسع ، وأنا ممن يميلون الى تضيق هذا الباب

ولم ينفرد نساء العصر الحديث بهذا ، فقد سبقتهن السيدة الجليلة مكينة بنت الحسين ابن علي ، وكانت — كما يروي صاحب وفيات الأعيان — سيدة نساء عصرها ومن أجل النساء وأظرفهن وأحسنهن أخلاقاً . وكانت لها نوادر مع الشعراء ومساجلات مع الأدباء ورد ذكرها في بعض كتب التاريخ والأدب

حضرة الاستاذ

ابراهيم عبد القادر المازني

لم أرَ في حياتي (المازني) قبل اليوم إلا مرة واحدة ، وكان ذلك من عهد غير قريب أيام كانت (السياسة الاسبوعية) في أول عهدها ولكنني رأيت بعد ذلك (المازني) مرات يخطئها الحصر ويفوتها العبد في كتبه ومقالاته وقصصه

ولقد عرفني الى (المازني) — ولا أعني التعريف بالأجسام وما يصحبه من التقاء اللحظ ، ووقوع العين على العين ، ومصافحة الأيدي بالسلام ، وإنما أعني التعريف بأدب المازني وأسلوب المازني ومكانة المازني بين الأدباء — عرفني بذلك استاذي الجليل المرحوم الشيخ احمد الاسكندري ، وكان كثيراً ما يستعرض في دروس الادب بدار العلوم المعاصرين من الادباء والشعراء والكتّاب — حتى السياسيين منهم — وكانت له فيهم آراء ونظرات

وكان الاسكندري كثير التحدث عن (المازني) وخاصة عن نضاعة أسلوبه العربي مع بعده عن التكلف ، ودقة تصويره لدقائق الامور وصغائر الأشياء مما لا يتاح لكثير من الكتّاب. وشهادة استاذ جليل كالمرحوم الشيخ الاسكندري المتمكن من اللغة العربية ، الواقف على كثير من أسرارها وخصائصها ، وفقهها وأساليبها قيمتها وأثرها . ولم يكن الشيخ ممن يعجبون أدنى إعجاب بالمذاهب الافرنجية في الكتابة او ممن ينزعون الى منازع الركافة باسم التجديد ، والله يعلم انهم ضيعوا قديمهم فلم يبق لهم جديد والمازني كان معاملاً قبل ان يتخذ الكتابة صناعة له ، ولعله كان مدرساً موقفاً كما وفقه الله في أدبه . وقد ذكر العقاد في مقال قريب له (بالرسالة) أن المازني (كان مسيطراً على التلاميذ ، فلما يحتاج الى معاقبة أحد منهم لخروجه على نظام الحصة ، لانه كان مهوباً بينهم قديراً على أخذهم بمهابتهم اياه قبل خوفهم من عقابه)

والحق ان المازني على صغر جسمه كبير في قلبه ، مهوب في طلعتة ، وله في الالتقاء والحديث طريقة جذابة ، فهو يُغري سامعه بمتابعتة ويتنقل به من معرض الى معرض في أبانة واطالة ، فاذا أوجز ودّ جلسه أنه لم يوجز ...

وكان المازني يقول الشعر ، وكان كبيراً في مجاله وميدانه ، وله فيه مذهب معروف ، وله في الشعراء رأي خاص ، ولكنه هجر هذه الروضة الجميلة التي تسعد النفس في أحزانها وانصرف الى الكتابة والى السياسة ، وشغلته دنيا الناس عن دنيا الشعراء
والعقاد والمازني اسمان متلازمان يستدعي ذكر أحدهما ذكر الآخر . ولعل لأشتر اكهما القديم في نقد بعض الشعر الحديث أثراً في ذلك . ومن الغريب أن يذكرهما الدكتور تشارلز آدمس في كتابه على السواء متلازمين حين يعرض للكلام على تأثير الشيخ محمد عبده فيهما . كانت فرصة الحديث مع الاستاذ المازني من أسعد الفرص التي ظفرت بها في الحديث عن (مي) الى قراء المقتطف . ولقد تشعب الحديث ألواناً وفنوناً وأخذ كل مأخذ ، وتحملته لحظات طوال أو قصار — كان يستعرض فيها الاستاذ بعض ماضيه ، ويقص بعض ذكرياته في صباه وشبابه ، (وفي الطريق) وفي مدرسته ، وفي الحظ الذي كان دائماً معه على اتفاق .. والمازني يبدو في كتابته ، كما يبدو في أحاديثه شديد الحنين الى الماضي ، فهو وفي له في أي مظهر كان ، نزاع اليه ولكن هيات أن يعود :

فليست عشيّات الحمى بواجع عليك ولكن خلّ عينيّك تدمعاً

١ — سألته : (كيف عرفكم ميّاً ، وما هي ذكرياتكم التي تحفظونها عن أول لقاء ؟)

فأجاب : لا أذكر متى عرفت فقيدتنا العزيزة ميّاً او كيف عرفتها فما يبقى في ذاكرتي من شيء إلا صورته . وأكبر ظني أنني عرفتها بعد ان أصدرت مع صديقي الاستاذ العقاد كتاب « الديوان » في النقد . على أنني لست واثقاً ولعلي عرفتها بعد صدور كتابي « حصاد الهشيم » . وكل ما أذكره — لأنه صورة وذاكرتي « فوتوغرافية » — هو أي تأقيت منها ذات يوم بطاقة مكتوبة بخط جميل تدعوني فيها الى زيارتها في يوم الثلاثاء . أما أي الثلاثاء ومن أي شهر او عام فعلمه عند الله . وقد استغربت يومئذ حسن الخط وتوهجت انها استكثبت أحد الخطاطين وعددت هذا من التكلف الذي لا داعي له . ولما كنت أمقت التكلف وأنفر من الاجتماعات الكبيرة فقد زهدت في الزيارة التي دعيت اليها ووطنت نفسي على التخلف . ومن حسن الحظ أنني نسيت ان أبعث اليها برد او اعتذار . وأحسب ان الاستاذ العقاد هو الذي هوّن علي الأمر وشجّعني على قبول الدعوة وعرفني ان هذا خطها لا خط خطاط فلم أجد مناصاً بعد ذلك من تلبية الدعوة الكريمة

وأقول « الكريمة » لاني كنت سيء الأدب معها او على الأصح قليل العقل . ذلك أنها كانت أهدت اليّ كتابيها (الصحائف) و (ظلمات وأشعة) فألفت نفسي نافراً غير مستعد لحسن الرأي فيهما ولعلّ كلمة (الظلمات) هي التي ساء وقعها في نفسي فكتبت بضعة فصول في الاخبار — نشرت بعد ذلك في (حصاد الهشيم) عن (الواجب) و (الكتب والخلود) و (الطبيعة عند القدماء والمحدثين) ولم أتناول الكتابين بأي بحث وانما كتبت ما كتبت لمناسبة اهدائهما اليّ وكانت هذه قلة ذوق على التحقيق . وكان اهل ابداء الرأي لا يخلو من معنى الاستخفاف فبأي وجه ألقاها وقد صنعت ذلك . . ولكنها غفرت ذنبي وأعضت عن قلة ذوقي وعسى ان تكون قد حملت ذلك مني على محمل الغرور او الطيش او الخماقة التي يركب الشاب بها الحياة ولولا أنها صفحت عني لما دعيتي . فمن الاقرار بالذنب والاعتراف بالخطأ وما ينطوي على معنى الاعتذار ان ألي الدعوة . وحدثني نفسي وقد دارت فيها هذه المعاني انها لا بد ان تكون مرهفة الاحساس عظيمة مروءة القلب رحيمة الأفق وانها على كل حال لا بد ان تكون ظريفة فتوكلت على الله وذهبت

وأعترف أنني دخلت متهيأً مستحيًا ووقفت على الباب متردداً — متهيأً لقاءها، مستحيًا ان أحشر نفسي بين زوارها الذين قيل لي أنهم من كل طبقة، ومتردداً لاني لم أعتد هذه المجالس ولاني أعرف من نفسي شدة النفور من هذه الطبقات التي تعد نفسها ممتازة او عالية او لا أدري ماذا أيضاً . على أنني دخلت بسلام فاستقبلتني هاشة باشة (شاكرة) فتعجبت ولا أظن أنني نطقت بحرف وقعت حيث أوامأت . وكان هناك الاساتذة — ومعذرة اذا لم أذكر الألقاب — لطفي السيد و خليل مطران ومصطفى عبد الرازق والمرحوم السيد رشيد رضا وابن أخيه محيي الدين رضا والاستاذ العقاد وآخرون كثيرون امتلأت بهم حجرات الدار وكانت المرحومة امها تساعدنا على الترحيب بالضيوف وأكرامهم، ولا أذكر انه دار بيني وبينها حديث، وكانت كلما مرت بي تلقيني بكلمة تحية أو تكتفي بالابتسام وأنا كالأخرس لا أنبس بينت شفة. واذا بهذا الجمع الحاشد يخرج من الحجرات الى الردهة الفسيحة واذا بها تقف لتخطب فارتعت ووجت فما أكره شيئاً كراهتي للخطب وقالت شيئاً سمعت منه اسم (ما كس نورداو) فانطلق لطفي السيد باشا يصفق فتعجبت لهذا الرجل ولما عدته يومئذ اسرافاً في التلطف والمجاملة ولم اصغ لشيء مما قالت ورأيت كثيرين ينهضون شاكرين مثمين وصار هذا يدعو ذلك لالتقاء كلمة نخفت وزادني رعباً ان السيد محيي الدين رضا همس في أذني انه سيدعوني الى الكلام فقلت والله لئن فعلت لأقولن ما يسوء فما أنا من رجال الصالونات ولست أحسن هذا الضرب من الكلام وما جئنا هنا لئبني بعضنا على بعض وعلى أنني لأعرف لماذا جئنا أو دعينا...

واتفق في هذه اللحظة ان مرت بي الآنسة مي فحاولت ان انهض لها فنهتني عن ذلك وعرفتني انه غير لازم فوجدت لساني وقلت لها معذراً من جهلي اني من عامة ابناء الشعب ولست من رواد الصالونات فأرجو ان تتجاوزني عن اغلاطي. فقالت بابتسامة وديعة: — لا تقل هذا الكلام. قلت: ألا تحبين ان تعرفيني على حقيقتي. قالت: طبعاً. قلت: بقي اذن اني من ابناء الشعب ولا أستطيع — ولا أحب — ان ارتقي عن هذه المنزلة فتبسمت وهزت رأسها. ولا أدري الى هذه الساعة أكان هذا منها أسفاً أم رفضاً للتصديق وانما الذي أدريه اني كنت جاداً جداً

وبدا الناس ينصرفون وهم الاستاذ العقاد وهممت بالخروج فأخرتنا واستبقينا — استغفر الله بل استبقت ايضاً الاستاذ خليل مطران — وجلسنا نحن الاربعة في حجرة الاستقبال الكبرى وكان نصيبي منه الاصغاء مطرقاً حيناً وناظراً اليها حيناً آخر ومعجباً بها في الحالين وان كنت قد شعرت اني غير فاهم شيئاً مما يقال لفطر اشتغالي بما في نفسي

وخلوت بنفسي في تلك الليلة ورحت افكر فيما رأيت وسمعت فأعجبني من الآنسة مي ان احتفالها برجال الادب كان أبين من احتفالها بغيرهم وسرني على الخصوص رقتها وتلطفها حين أخرتنا واستبقينا كأنما كان همها كله هو ان تجالسنا نحن لا سوانا. وتذكرت ما كس نوردوا وتصفيق لطفي السيد الذي أسخطني فراجعت نفسي في سخطي عليه وراجعت ما كس نوردوا فاذا الكلمة التي استهل بها كلامها منه معناها ان الاعتراف بالجميل ينطوي على الأمل في دوام هذا الخير ولو انقطع الأمل لكان الأرجح ان لا يكون شكر او اعتراف بمعروف فهي اي الآنسة مي تشكر الذين لبوا ادعوتها شكراً فيه معنى الأمل في مواظبتهم على الحضور. وكانت هذه براعة منها ولم يكن تصفيق لطفي السيد اذن في غير محله. ولقد كنت خليقاً أن أصفق مثله لو انه كانت لي مثل فطنته او على الأقل لو كنت ساعته معنيّاً بالاصغاء ولا أدري هل عدت بعد ذلك الى زيارتها ام لم أعد فان كنت عدت فقد كان ذلك ولا شك بدافع من الإعجاب والاكبار وان كنت كففت فالعلة لا بد ان تكون تقوري بما يسمى «الصالون»

٢ — فقلت: (هل تعرفون شيئاً عن رسائل «مي» والمكاتبات التي دارت بينها وبين الشعراء والأدباء؟ وما رأيكم في نشر الرسائل العامة منها التي تتعلق برأي في الادب، او فكرة في الحياة، او نقد لمذهب، او تعليق على كتاب؟)

فقال : أعرف ان كثيرين من الأدباء كاتبوا ميًّا وكتب اليهم والذي يعرف ميًّا لا يرى بأساً من نشر رسائلها الى أصدقائها فما أحسبها اشتملت على غير آرائها في الحياة والأدب والكتب وما الى ذلك ويصعب جداً ان أصدق — الا اذا قام الدليل على غير ذلك — ان ميًّا كانت تتناول في رسائلها اموراً شخصية . على اني ممن لا يرون نشر الرسائل الخاصة ولو كانت بحثاً صرفاً، وليست بي بيننا حتى يمكن ان تستأذن في النشر، ولا أرى من حق أحد ان ينحل نفسه هذا الحق

ويحسن ان اقول اني لا أخشى ان يكون في رسائل ميٍّ او رسائل احد اليها ما يغض من حسن الرأي او الاعتقاد فيها . والارجح عندي ان نشرها يعزز مقامها ولكني مع هذا لا أوافق على النشر لان هذا جانب من حياتها الخاصة ولا شأن للجمهور بها

٣ — فقلت : (سألتني سيدة أدبية كبيرة عن رأيي أنا في كتب ميٍّ ، وهل سيكتب لها كلها او لبعضها الخلود ؟ فلم أبد لها رأياً خاصاً ورأيت ان أحيل السؤال بدوري عليكم)

فقال : حولتم عليّ سؤالاً ألقته عليكم سيدة أدبية كبيرة عن كتب ميٍّ وهل سيكتب لها الخلود . والجواب — أي جواب — لا يخلو من اجترأ على الغيب . على اني أقول اني أؤمن بالفناء في الدنيا ولا أؤمن بالخلود لشيء فيها ، فلا الأدب ولا غيره يبقى ولا الحياة نفسها ولا الكرة الأرضية كلها، وتصور يا سيدي ان كل جيل من كل أمة في كل عصر يخرج طائفة غير قليلة من الكتاب والادباء والشعراء . وكل عدد من يظهر في الامم جميعاً في العصر الواحد . . مئات . . وكل عدد من يذكر العالم في حاضره من عشرات الآلاف الذين سبقونا . . . وسيصبح عشرات الآلاف ملايين على الازدهار . . نعم ربما بقيت الكتب محفوظة في دورها فيكون البقاء معناه الدفن . . لا يا سيدي

وأنا أعتقد ايضاً ان العالم سيستغني عن الألفاظ واللغات في المستقبل البعيد كأداة للفهم والافهام وسيستطيع بعد مرور أحقاب كافية ان يتخاطب ويتراسل ويتفاهم بموجات يرسلها كما يرسل الآن موجات لاسلكية يذيعها في ارجاء الارض فيسمع القاصي والداني . . . وحينئذٍ يستغني العالم عن الأدب المكتوب كله

٤ — فسألته : (أترون لو ان ميًّا عاشت حياتها كلها في لبنان دون مصر أكانت

تبلغ في ذرى جباله ، وتحت ظلال أرزه ما بلغته في مصر من مرتبة أدبية على شاطئ
نيلها وتحت ظلال أهز امها ؟)

فأجاني : تسألوني هل لو كانت مي قد عاشت في لبنان دون مصر أ كانت تبلغ ما بلغت
من مرتبة ممتازة في عالم الادب والجواب نعم ولا ، فاما نعم فلان ادب مي متأثر بتيارين على
الخصوص . الأول التيار الذي أوجده اليازجي وزملاؤه وعلى هذه الطبقة تأدبت مي على
الخصوص وبهم تأثرت من الناحية العربية واليهيم يرجع الفضل في سلامة اسلوبها ونقائه وهذه
الطبقة كلها او معظمها من اللبنانيين . وأما الثاني فهو تيارات الادب الغربي الذي توفرت على
درسه باللغات المختلفة التي كانت تتقنها وتقرأ وتكتب بها ، وترون من هذا انه كان يستوي
ان تحيا في لبنان او في مصر . ولكن شهرتها — لو كانت قد بقيت في لبنان — كانت خليقة
أن تكون أقل وفي نطاق أضيق . ويلاحظ في تاريخ الادب العربي القديم ان كل من اتصل
بمصر في حياته كان نصيبه من الشهرة أوفر . لا أدري لماذا . ولكني ارى ان هذا هو الواقع
ولو اتسع المقام للافاضة في البيان لفعلت وهو على كل حال باب من القول لا يغني فيه الاجمال
فيحسن الاكتفاء بما أسلفت

٥ — فسألته : (ما رأيكم في أسلوب مي وفي طريقها التي اتخذتها للتعبير عن

آرائها وأفكارها ؟)

فأجاب : أما أسلوب مي فسلم نقي ، وقد اشرت الى قلة عقلي لما تلقيت كتابها ذلك أني
أكره الاسلوب العاطفي أو الوجداني وقد نسيت وأنا اقرأ كتابها أن الكاتبة امرأة وانها
لا تكون مخلصه لنفسها وطبيعتها الا اذا كتبت بروح المرأة وأنها بغير ذلك تكون منكفة
ولا قيمة لها . وقد كانت مي امرأة صادقة الانوثة غير طائشها ومخلصه لجنسها وطبيعته
أعظم اخلاص . وأحسب اني قد بينت كيف كنت قليل العقل

٦ — فسألته : (ما رأيكم في منزلة مي بين كتّاب العربية ؟)

فأجاب : — الجواب عن سؤالك هذا سؤال مثله : هو أين في العربية من النساء من
يضارعها حتى يكون هناك محل للمفاضلة ؟

حضرة الاستاذ

خليل مطران بك

خليل بك محدث من الطراز الاول ، ان طال لم يملله سامعه ، وان أوجز ودأ المحدث اليه لو أنه لم يوجز . وهو شاعر في نثره ، كما هو الشاعر في شعره . فاللفظ متخير عذب ، والكلمة منتخبة رشيقة ، والبيان مفصل والمعنى مقسم . وفي القائه حسن يزيد من حسن بيانه وفصاحه لسانه . فكان حديثه — على عمومته — ضرب من الشعر او لون من السحر . ولقد عرف خليل مطران « ميًا » كما سيجيء في عرض حديثه ، فدامت المعرفة ، واستحكمت الصلة ، واستوثق الود أكثر من خمسة وعشرين عاماً ، في زمان وهنت فيه العلاقات وتراخت فيه العهود والمواثيق فكان « خليل » الخليل الصافي ، والرفيق الوافي كما هي شيمته مع كل من عرفوه ، ومسجيته مع كل من اتصلوا بأسبابه

ولقد وقتت « مي » منذ أكثر من ربع قرن — وكان ذلك بالضبط في سنة ١٩١٣ — في جمع حافل من الادباء والعلماء ، والكبراء والعظماء تكرم « خليل مطران » بمناسبة الانعام عليه بوسام خديوي ، كما القت في ذلك الحفل كلمة بعث بها « جبران خليل جبران » فكان ذلك أول عهدهما بالواقف ، ومفتتح أمرها في الجامع والمحافل . فأحسن اللقاء ، وكان صوتها كما قال الدكتور طه حسين بك عذبا لا يكاد يبلغ الأذن حتى يصل الى القلب بعد ذلك العهد البعيد وقف مطران يدفع ثمن ما أسدت اليه مي من الجميل . قلت له :

(أسألكم بوجه عام عن مي من حيث شاعريتها ورأيها في الشعر)

فأجاب هذا الجواب المستفيض : لا بأس قبل الحديث عن مي ان أشير الى أول معرفتي بها . فقد جاءني يوم من الأيام الشيخ يوسف الخازن وكان صاحب جريدة الاخبار المصرية وناولي ديواناً من الشعر مكتوباً عليه اسم المؤلف (إيزيس كويبا) . ولم يكن هذا الاسم الا ترجمة او مقابلاً لاسم (ماري زيادة) وطلب مني بعد اتمام قراءته ان أكتب عنه كلمة في جريدته ، على نحو ما يصنع بكل كتاب جديد لتقديمه الى القراء قرأت الديوان فوجدته مكتوباً باللغة الفرنسية بعبارة سليمة تم على دراسة متقنة دقيقة ومعرفة صحيحة بهذه اللغة

وبالداهة كل ما بقي الى الآن في ذهني من أثر هذه الكتابة وبعثت به الى جريدة الاخبار في ذلك الوقت ، كان مؤداه أني بعد مطالعة هذا الكتاب تمثل لدي قصص من الذهب يتحرك في داخله ويتنقل بين أسلاكه الالامعة عصفور صغير ملون الريش ، مرح كل المرح كأنه يضرب بأجنحته الصغيرة جوانب هذا القفص الذهبي ليفلت من قيود أسلاكه وينطلق منه الى الفضاء الواسع والجو المطلق الفسيح لأنه لا يطبق الاحتباس ولا يقدر على ان يكون سجيناً في مكان ضائق بأمانيه في الحياة . وتبين — لما عرفت ميّاً بعد ذلك — ان العصفور الصغير لما بدأ الحياة خارج المدارس وأقبل على مغامرات تكشفته أمامه وسائل النجاح القريب ، ورأى آفاقاً بعيدة للإمال ما كان ليحجم عن التوجه اليها بكل قواه . فأخذت مي تقرأ الادب العربي وتعلمه ، ورأت ان مجالها يكون أفسح حين تكتب بلغة قومها ، وان ميدانها يكون أرحب وأوسع حين تعبر بلسان أهلها ، ورأت كذلك ان تفوقها المنشود لا يتخذ له ذريعة أقوى من ان يستند الى شعورها الشرقي ، والطبع الأصيل الذي أخذته من منبتها

وكانت فطرتها تعينها على الجهود المطرد القوي ، فابلثت ان تضلعت من اللغة العربية تضلع الذين قضوا وقتاً طويلاً في مدارسها . وهنا انتقلت فيها الشاعرية من الطريقة التي كانت قد بدأت بها في ديوانها الاول — طريقة العروض والروي — الى طريقة البيان الآخذ بين النظم والنثر مما له خصيصة في اللغة العربية . ولك ان تقول ان شاعريتها في اللغة العربية كتبت بطريق النثر الفني وهذا هو ما اختصت به في اسلوب كتابتها الى ان ماتت فتكتب مصورة وملحنة ، ومقسمة للكلام على تقاسيم شعر خفي تتحرك به النفس واتفق بجانب هذا انها كانت قد أوتيت فيما أوتيت من مواهب قوة الفصاحة اللسانية والتعبير العجيب برنات الصوت واشارات النظر والايدي . فلم تلبث ان ظهرت بمظهر الخطيئة التي لا تجارى وهي تلقي كلامها من فوق أعواد المنابر . ولقد يبلغ بك الظن وأنت تسمعها تخطب انه لو ان ممثلة من كبريات الممثلات أخذت كلامها وألقته لا يكون عندها من ابراز المعاني ما عند مي بهذه السهولة وذلك اليسر . فلا ننسى انها كانت لها هذه المقدرة العجيبة من غير كلفة ومن غير ان يبدو هناك عناء او تصنع

مضت في كتابتها ناحية هذا النحو واستطاعت به ان تتناول اغراض الحياة وان تبعد فيها كما يبحث الذين يشتغلون بالصحف أو بتأليف الكتب الاجتماعية القريبة التناول . وذلك بقصد اشاعة فكرة الخير والعدل بين الناس ، والتنبيه الى كل ما هو واجب او مستحب لهضة الأمة تارة ، ولهضة كل فئة من فئاتها تارة أخرى . وبهذا نزلت الى ميدان العمل

الكتابي ، ولكنها بقيت على طريقتهما من الانشاء الشعري الاحتفالي . ورأت بعد ذلك لاستكمال ثقافتها ان تقرأ ما شاء الله من دواوين العرب وأمهات كتبهم . وكذلك قرأت من دواوين الفرنجة وأمهات كتبهم ما لا يكاد يحصى ، ثم اندفعت لتعلم اللغات الأجنبية وأتقنت منها بعضاً اتفاقاً كان يحار له ابناء تلك اللغات . وفوق هذا طالعت المذاهب الفلسفية المختلفة وكانت تتحدث حديثاً عجيباً بموازات بين الادباء أحياناً والشعراء أحياناً والفلاسفة أحياناً بما يُقضى له عجباً

فمع كل هذا العلم الواسع والادخار الكبير من ثمرات المطالعات التي لم تنقطع عنها يوماً أو بعض يوم ، وأفنت فيها معظم مجهوداتها كان الشعر من حيث هو أعاريض وقوافٍ قد أصبح من الاشياء التي تفكر فيها كما يُفكر في التحف الفنية ، والألطف البديعة ، والزينات الشائقة ولكنها لم تر ان تذهب في مطالبة نفسها بهذه الصناعة إلى أبعد من هذا الحد لم يحصل أن ميّاً آثرت ديواناً على ديوان أو فضلت شاعراً على شاعر — وهذا بقدر علمي — وكان يطربها في الشعر ويأخذ من نفسها كل مأخذ إما الشعر العالي الخيال ، المخدم الصياغة الذي ينبه في النفس العواطف تنبيهاً قوياً ، وأما الشعر الذي كتب لأغراض موحدة فصلاً فيه تفصيلاً محكماً ، وقدّرت أجزاؤها تقديراً مترابطاً ، وانتهت به الى مغازٍ ومرامٍ تقع موقعها من الانسانية عامة أو من أمة معينة يكون قد كُتب لها ذلك الشعر لم تغرم مي بالماوزنات بين شعر وشعر لأنها كانت تخشى بذكر ايثارها لنوع من الشعر على الآخر أن يكون في ذلك تثبيط لأية حركة تريد ام الشروق أن تندفع بها الى تعديل أو تبديل أو اصلاح فيما ألفتته وجدت عليه دهرًا طويلاً

بقي أن أقول لك — وذلك ليس من موضوع شاعرية مي — أن كل عنايتها كانت اصلاحاً في الأخلاق والآداب ، اصلاحاً في روح الأمم ومطالبها اصلاحاً في المعاشية بين الجنسين ، اصلاحاً في التربية — وخاصة تربية الاطفال ، اصلاحاً في توزيع الاحسان وتدبير شؤونه بدل أن يكون مقصوراً على صدقات تكاد تكون بلا قيمة في النهاية . ذلك كله كان موضع عناية مي ومثار مشاغلها ، وأما مناقشتها في المسائل العامة فكانت تجد سامعياً ، ولم يكن كلامها في مسألة كلام عابر سبيل ، أو حديث غير المثبت ، بل كان كلام الوثائق ، وحديث العارف . وما ادعت يوماً أنها فيلسوفة وكذلك كان موقفها من الشعر تقرأ وتفهم ما هو أحلى وأصنى ولكنها لا تدعي أن تتعرض للمفاضلة . أعني بجملة الكلام كانت في نهاية أمرها قد بقيت فيها روح الشاعرية كامنة ، ولكنها — على كون هذه الروح فيها — لم تشغل بالشعر ولا حواليه من حيث هو صناعة

حديث مي

ليس الحديث مع الأموات بأجسادهم الفانية بدعة ، فلقد أتاحت لي مي في خلال قراءاتي الكثيرة لكتبها ومقالاتها أن أصطنع معها بالروح حديثاً ، وأجلس معها بضع ساعات كما جلست مع حضرات الأفاضل الذين سجلت لهم أحاديثهم كما شاءت « المقتطف » أن أصنع ولم يكن حديث « مي » معي حديثاً لنطق به لسانها أو انفرجت عنه شفهاها ، أو تكيف بصوت مخصوص ، أو جرس مسموع ، ولم أسمع به بنعمة أو نبرة أو لفظة ، ولم يصل الى مسمعي كلاماً مرتلاً ، أو لحناً مسلسلًا ..

ولكنه حديث أخذته من خلال كتبها ، واقتطفته من بين مؤلفاتها ، ولقد حافظت فيه على الأصل ، وأبقيت فيه على كلماتها بذاتها ، وتنقلت في الحديث من كتاب الى كتاب ، ومن صفحة الى صفحة

وما كتابات مي في كتبها ، ولا عباراتها في مؤلفاتها ومقالاتها ، وخطبها ومحاضراتها إلا أحاديث مسطورة لساعتها ، مكتوبة في حينها . فاذا عرضت اليوم بعضاً منها فإزدت على أنني تصورت « ميًا » الكاتبة « تتحدث » بما كتبت ، وتمثلت ميًا المؤلفة « تتكلم » معي بما ألقت ، أو بعبارة أصح وأوضح ما زدت على أنني أنطقت « ميًا » الصامتة اليوم لتحدث بعباراتها هي ، وبألفاظها هي التي وردت في كتبها أو آثارها ...

ولست في هذا بمفتر على مي أو بمجترى على قداسة روحها وجلال موتها ، ولست في هذا أيضاً بكاذب على القراء حينما أصطنع الحديث مع الأموات ، فإن « ميًا » الجنة الهامدة والهيكل الفاني والجسد الترابي قد مضى الى التراب ليختلط بذراته ثم يكون بعد ذلك أديماً للارض التي يجب ان تخفف الوطء فوقها ...

أما « مي » بروحها وفكرها وبالمعاني المعنوية فيها فهي خالدة باقية تتصورها محدثة ولا نجد غضاظة في قبول هذا التصور ، وتخيل أنها تتكلم معنا بكلام هو الرجوع والصدى لما صدر عنها في كتبها من كلام

١ — سألتها : (لقد زرت يامى « عين زحلتا » بلبنان ، ورأيت نهر الصفا

يتدفق عند قدم الجبل فاذا أوحى إليك هذه الزيارة ؟)

فقلت لقد خاطبت النهر قائلة : —

أنهر الصفا ! جئتك تعب الروح والجسد معاً

قرأت خلاصة الأحوال الحاضرة فدوى في تخيلتي هدير المدافع وتمثلت لناظري صور الحرب المخيفة ، ثم قصدت الاجتماعات فلا أذني ضجيجها التافه ، وضجرت نفسي من معانيها السطحية ومراميها الخبيثة . عجبت لبلاهة الانسان وركاكة أمياله وفطور همته . اذ ذاك سمعت اسمك الموسيقي فأحبيته لأن فيه جمالاً وعدوبة وسلاماً

على هذه الصخرة حيث أنا أحلم ثمة بما شربته مشاعري من رحيق الخيال العلوي كان يجلس الأمير بشير الشهابي الكبير . كثيرون بعده وقبلي جلسوا هنا وفؤاد كل منهم منقبض تهيباً وخشوعاً أمام أنفاس الطبيعة وأصوات الخلود . ما يجول بخاطري الآن كان يجول بخاطرهم لأن الأفكار تتشابه في المصدر وفي النتيجة رغم تشعبها وتفرعها ، والرغائب الكثيرة اللاصقة في أعماق النفس هي في كل آن ومكان (من كتابها : ظلمات وأشعة)

٢ - فسألتها : (في الحرب الطاحنة الآن جن جنون البشر ، فالبر في خطر والبحر في خطر ، وكل يوم تغرق سفينة او بارجة ، فهل تذكرين غرق « لوزيتانيا » في الحرب الماضية وماذا أثار غرقها في نفسك ؟)

فأجابت موجهة الخطاب الى لوزيتانيا : -

لوزيتانيا ! لوزيتانيا !

سوف ينتقم لك البشر من البشر . سوف يقيم التاريخ لك ولاخواتك جميل الآثار . سوف تنظم لك الأناشيد . ويعزف لذكرك طروب الآلات . واذا سئلت في أعماق الهاوية عن الانسان الذي أبدعك واستخدمك فقولني أنه ما زال كبير المطامع موفور الغرور ، وأنه في غروره قد أحببك وبكأك . واذا سألتك روح الهاوية مذهولة : إذن كيف فتك بك ؟ فأجبي بما يقولونه في ربوعنا من أن الذي قضى عليك ليس التحالف الملقب بالانساني . بل البطاش المنعوت بالجرماني (من كتابها : ظلمات وأشعة)

٣ - فسألتها : (ما رأيك في الحب ؟)

فأجابت : ما أعظم الحب . وأشرفه في القلب المتبصر الحكيم ! هو أقدر عامل ينهض بالانسانية مسهلاً طريقها مخففاً أثقالها ، خالقاً من أبنائها الابطال والجبابرة ، وأجل الارواح وأكبر القلوب وأنبى النفوس إنما هي تلك التي يظل فيها نهر الحب دائماً الفيضان وتظل تبعث

شعاع شمسنا الداخلية الى ما وراء الفرد والبيت والوطن فتمتد على كل شيء وتضيء كل شيء الذي يحب كثيراً يفهم كثيراً لأن الحب أستاذ ساحر نتعلم منه بسرعة ويفتح لنا ربح الآفاق يهتف فيها صوته المحيي الذي لا تسكته أصوات الأفراح والأحزان . ولكن كم نصغر الحب ونحقره عندما نحصره في الموضوع الواحد الذي تدور حوله الروايات والأشعار الغزلية، وننسى أنه الرابطة الكبرى، كدت أقول الرابطة الوحيدة بين أجزاء الكون وبين الانسان والوجودات، وأنه هو وحده دواء السامة الناجع وبلسم التعزية الفعّال
(من محاضرتها : غاية الحياة)

٤- فسألتها: (ما رأيها في موجة الديمقراطية التي لمست مصر في العهد الحديث ؟)

فأجابت : (لقد لمست موجة الديمقراطية شواطئ الشرق الأدنى ، وأول من هتف بها في مصر احمد لطفي السيد بك « باشا » ، يوم كان بعضهم يطلقون عليه مزاحاً لقب الفيلسوف الديمقراطي . ولم تقف المسألة عند حدّ المزاح بل هو لاقى من اعتناق الافكار الحديثة مصائب واحتمل سخافات ... وهنا الوقائع التاريخية تقضي بالاعتراف بأن اسم الديمقراطية جديد في هذه البلاد ، ولكن معناها غير جديد . لأن الاسلام كان أبداً ديمقراطي المبادئ ديمقراطي الأساليب . وهل من ديمقراطية أتم من ان يرى الملوك يتخذون لهم من الجواري زوجات شرعيات ويرفعونهن الى مرتبة الملكات . أو هل من ديمقراطية أوفى من أن يخرج من الطبقة الدنيا قوم يرتفعون بكفاءتهم الشخصية ورجاحة عقولهم فيحملون أعظم الألقاب ، ويقلدون أجل المناصب ؟
(من كتابها : المساواة)

٥ - فسألتها : (كيف يؤثر فيك منظر الربيع المودع والنضارة المولية ؟)

فقلت : أشرقت الشمس وعلت فوق ذرى الجبل الواحد الذي يخفر عاصمة أبي الهول ، ومضت الأطيّار الى عمل النهار وليس على الغصون من طير يصدح . واستيقظ أهل المدينة ، وبدأت حركة الشوارع ، واستؤنفت جلبة العمران . وفاض النور على جوانب الأفق وساد طليقاً في كل مكان . وعمّا قليل تشتد حرارته فتصلينا بسعير الظهائر والهواجر
(ثم وجهت الكلام الى الربيع المودع قائلةً) : -

أ كذلك وداعك ، أي هذا الربيع ، في آخر صباح من أصباحك ؟
وهل أنت تقبل كما يقبل الواحد منا ، وتدبر كما يدبر ، وتسلم وتودع مثلنا سواء بسواء ؟
أم أنت تتولد من قلب الشتاء كما يتولد الفرح من قلب الترح وتذوب عناصرك في مطلع

الصيف فتمده بالقوة والحيوية كما يغني الأمل مصادر النضج في الإنسان ويعلمه كيفية التحقيق ؟
ألا ان هذه الحياة متحابكة الحلقات ، متسلسلة الوقائع ، متضافرة الفوارق ، متلازمة
الاضداد ، نحسب اننا نحدقها ونفسرها ونتصرف فيها ، على حين هي تعالجننا وتتصرف فينا
من غير ما شرح ولا تفسير ! » (من « وداع الربيع » : المقتطف يوليو ١٩٣٠)

٦ — فسألتها : (هل شعرت يوماً بأنك غريبة في مصر ؟ وما رأيك في
العلاقات بين مصر وسوريا ؟)

فقلت : مصر . سوريا وطن واحد ما زالت العلاقات المتبادلة تزيده كل يوم توحيداً ،
السوري في مصر بين اهله واصحابه ، والمصري في سوريا بين ذويه وأحبابه
أنات مياه النيل صدى آهات النسيم في غابات سوريا ، والطبيعة التي تزجر هناك بين
المرتفعات والمنحدرات ترتاح هنا منبسطة على صفحات المروج الفيحاء
مصر وسوريا ، كلاهما همستان مختلفتان من لغة جميلة
مصر وسوريا ، كلاهما محسن وكلاهما محسوب . لكن تبادل الاحسان والمحسوبة يؤدي
صداقتهما ، ويزيد في اتفاقهما ، ويجعل قلبيهما خافقين على وفق نعمة واحدة
(من كتابها : كلمات وإشارات)

٧ — فسألتها : (لقد بدأ العام الجديد عام ١٩٤٢ . فهل عندك كلمة تحيين بها مطالعة ؟)
فقلت : تمهيداً لذلك اليوم الآتي أحبي الآن كل متشع بالسواد ، أما السعداء فلهم من
نعيمهم ما يغنيهم عن السلامات والتحيات
أحبي الذين يبكون بقلوبهم ، أحبي كل حزين ، وكل منفرد ، وكل بائس ، وكل كئيب ،
أحبي كلاً منهم متمنية له عاماً مقبلاً أقل حزناً وأوفر هناءً من العام المنصرم
نعم للحزين وحده يجب ان يقال : عام سعيد !
(من كتابها : سوانح فتاة)

والى هنا طويت كُتب « مي » المبعثرة على المنضدة أمامي ، ولامت آثار « مي » القلمية
المنتشرة بين يدي ومن خلفي ...

وبدا أول وميض من نور الصباح الباكر ينفذ الى غرفتي من خلال الزجاج ، كأنه
يدعوني الى الاستعداد للعمل ، والتأهب لاستئناف النضال اليومي في سبيل العيش
فنجيت كتب مي ناحيةً وقلت : — الى هنا طويت الكتب ، لتنشر بعدها الأحاديث
وإنما المرء حديث بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى

تأثير الاوبئة

في الحروب الماضية

«من الأقوال العامة في الحرب والسلم المسلّم بصحتها قول قديم مؤداه ان المرض في الحرب أفتك بالجند والناس من الاسلحة . وقد أشار المؤرخون الى ما يؤيد هذا القول في حملة زركسيس الفارسي على اليونان ، وفي الحروب الصليبية ، ثم في حرب الثلاثين سنة وغيرها من الحروب التي تلت الثورة الفرنسية ولا سيما حروب نابليون في عهده الأخير عند ما ضاق الخناق عليه وعلى قارة اوربا . أما الحروب القريبة منا فمنهم حرب القرم وقد تقشت في أثناءها حتى التيفوس والهواء الاصفر والديسنطاريا وغيرها في صفوف الجيوش الروسية والبريطانية والفرنسية ففتكت بها فتكاً ذريعاً وحصدت من النفوس أضعاف ما حصده القتال . وفي الحرب الاميركية المكسيكية (١٨٤٦—١٨٤٩) بلغت الاصابات الناشئة عن المرض في الجيش الاميركي سبعة أضعاف الاصابات الناشئة عن القتال . وفي الحرب الاهلية الاميركية قتل المرض من الجند ١٨٦ ألفاً ولم يقتل في المعارك سوى نصف ذلك »

هذه الفقرة كانت استهلال مقال في «الحرب والمرض» نشرناه في صدر مقتطف اغسطس الماضي . وكان مداره على ضروب التقدم العلمي والطبي الحديث في مواجهة المشكلات الناشئة عن الجماعة وتفتشي الامراض في اثناء الحرب . ثم اطلعنا على مقال نشر في «المجلة الارلندية للعلم الطبي» فصل فيها الكاتب عدد ما ذهب من الناس ضحية الامراض والابئة في الحروب الماضية فلخصناه في ما يلي :

كانت الحرب العالمية الماضية (١٩١٤—١٩١٨) الحرب الاولى في تاريخ البشر — على مدى عامنا — التي لم يزد فيها او في مناطق القتال الفعّال في غرب اوربا على الأقل ، الوفيات ضحايا المرض على ضحايا القتال . ففي حرب البوير في اواخر القرن الماضي ، اربى عدد الوفيات بالتيفود على القتلى بالرصاص . وقد بلغت قوة الجيوش البريطانية في اثناء القتال ٥٥٧ ألفاً أو ٢٢٦ ألفاً ٢٠٨ محارباً على المعدل ، أصيب منهم ٥٧٦٠٤ جنود بالتيفود وتوفي من هؤلاء ٨٠٢٢ مصاباً . وبلغ عدد المتوفين من المصابين بأمراض اخرى ٣٣٠٥ مصابين فكان المجموع

١١٣٢٧ أما عدد الذي قتلوا في الميدان أو متأثرين بجراح أصيبوا بها في الميدان فبلغ ٦٤٢٥ جندياً فعدد ضحايا المرض بالقياس الى ضحايا القتال كان ٧ الى ٤، ولكن بحث تأثير الأوبئة في الحروب لا يقتصر على بحث حالة المجندين بل يشمل كذلك حالة المدنيين . ولذلك يجب ان يضاف ١٤ الف طفل و ٥ آلاف من الكبار في المعتقلات توفوا مصابين بالحصبة والسعال الديكي والتهاب الغدة النكفية والدفتيريا والتيفود . فيبلغ عدد الذين توفوا بالمرض في اثناء تلك الحرب ٣١ ألفاً وهذا رقم لا يدخل فيه حساب خسارة البوير انفسهم

أما كون الوفيات الناشئة عن المرض كانت اقل من الوفيات الناشئة عن القتال ، في الحرب العالمية الماضية ، فيجب ان يعد ظفراً عظيماً للطب الحديث . ولكن الاصابات والوفيات الناشئة عن المرض في مناطق حربية بعيدة كبلدان اوربا الشرقية والبلدان الاسيوية حيث تفشت اوبئة التيفوس والتيفود والكوليرا ، وربما الطاعون ، كانت عظيمة حقاً

وصف توسيديديس المؤرخ اليوناني المشهور الوباء الذي اصابته به اثينا في اوائل القرن الخامس ، ق . م . وليس ثمة شك — اعتماداً على وصفه — في انه كان وباء حمى التيفوس ، وان كان في بعض أقواله ما يشعر بأنه وباء طاعون . وقد كان الطاعون على ما يظن معروفاً لليونان القدماء ولكن هذا الوباء الذي تفشى في اثينا كان مرضاً جديداً لا عهد لطبائها به من قبل والغالب ان وباء التيفوس هو أقدم أوبئة الحرب وأوسعها انتشاراً . بينما يغلب على الرأي ان انتشار الطاعون يتبع الاختلاط التجاري ، وتفشي الملاريا يشمل الجيوش التي تنزل في البطائح او البقاع التي تمكن منها هذا المرض . اما التيفوس فيبدو انه دائماً متصل بالحرب والمجاعة والفاقة والازدحام ولا يقتصر تأثيره على الجيوش بل يشمل الاهلين كذلك . ومن المحتمل انه كان مصحوباً في اثينا بالحمى الراجعة وحمى النخاع الشوكي وربما الجدري . ولكن المرجح ان المرض الغالب في الوباء الاثيني الذي وصفه توسيديديس كان مرض التيفوس

وكانت حمى التيفوس قد أصبحت نادرة في اوربا قبل الحرب العالمية الماضية وما بقي منها كان معروفاً على الاكثر في بولونيا الروسية وتركيا والى شرقها . أما كيف فاع وبأ التيفوس وانتشر في اثناء الحرب العالمية الماضية ففيه عبرة لمن يعتبر . فقد بلغت الاصابات به في بولونيا ٤٠٠ الف توفي منها ٤٠ ألفاً أي عشرة في المائة من المصابين . ونقل الاسرى الروس العدوى الى المانيا والنمسا . ولم يكن في الجيش السربي إصابة ما بها حتى احتل بلدة فاليثو على حدود البوسنة فأُسِر هناك ٤٠ الف اسير وكان بينهم ثلاثة آلاف مريض وجريح وكان بين المصابين عدد وافر مصاباً بالتيفوس . وكان السربيون في حاجة الى اليد العاملة ففرقوا الاسرى في طول البلاد وعرضها فانتشر وبأ الحمى حاصداً الناس حصداً . وفي مارس سنة ١٩١٥ تولت بعثة

طبية بريطانية مكافحة الوباء خدّت من انتشاره أولاً ثم تغلبت عليه . ولكن خسارة سربيا بلغت ما يزيد على مائة ألفٍ توفوا بهذه الحمى الخبيثة
وبعد ما انتهت الحرب انتقلت طوائف كبيرة من السكان من بولونيا الى روسيا ثم من روسيا الى بولونيا ففزع وبأ التيفوس ثانية وأصبح خطراً كبيراً على صحة سكان اوربا .
ولكن نشاط القسم الصحي بجامعة الامم حال دون انتشاره . ولا يعلم عدد الذين توفوا بالتيفوس في هذه الفترة ولكن الهيئات الصحية التي كانت تكافحه في بولونيا خسرت ١٨٥ من اعضائها به

وقد روي من عهد قريب ان الاصابات بالتيفوس بدأت تظهر ثانية في شرق اوربا
ان تاريخ الحروب الصليبية حافل بذكر الامراض والابوئة، ولكن ليس في وسع المؤرخ الطبي ان يقرر الامراض التي كانت منتشرة فعلاً حينئذٍ . فالامبراطور فردريك بربروسا فقد كل جيشه بعد استيلائه على روما في سنة ١١٦٧ والغالب ان حمى التيفوس كانت سبب هذه الكارثة .
ويقدر عدد الذي ذهبوا ضحية المرض في الحرب الصليبية الاولى من رجال الجيوش او المتصلين بها بنحو مائة الف والغالب ان الطاعون كان سبب وفاتهم . ولا يعلم على وجه التحقيق عدد الذي توفوا بالطاعون في حرب الثلاثين سنة لأن الطاعون كان مصحوباً بالتيفوس والديسنطاريا . غير أن سكان اوربا نقصوا في هذه الفترة من ثلاثين مليوناً الى ١٣ مليوناً ولم يزد عدد الذين توفوا متأثرين بجراحهم على خمسمائة الف

أما في حرب القرم فقد خسر الانجليز ٤٦٠٠ من القتلى و ١٧٥٠٠ متوفين بأمراض شتى وخسر الفرنسيون ٢٠٢٤٠ من القتلى و ٧٥٠ ألفاً من المصابين بمرض ما . وذلك لان الجيش على ما يلوح نقل معه الكوليرا من فرنسا . وفي الحرب الاهلية الاميركية اشترك في القتال مليون جندي فقتل منهم ١٨٢ ألفاً ومات بالمرض ٣٦٤٥٨٦ أي ضعف عدد القتلى . ومجموع القتلى والموتى يربى على نصف الجنود الذين اشتركوا في القتال (١)

ولم تصب الجيوش الالمانية في حرب سنة ١٨٧٠-١٨٧١ بخسارة فادحة ناشئة عن المرض إذ لم تزد نسبة الوفيات بالمرض الى القتلى على ٧ الى ١٣ ولكن الحرب نفسها كانت باعثاً على انتشار وباء الجدري وهو وباء وصف بأنه من أشد اوبئة القرن التاسع عشر . فمات به ٢٠٠ الف في فرنسا وأصيب ١٤ الف من الاسرى الفرنسيين في المانيا فأفضت هذه الاصابات

(١) في مقال « الحرب والمرض » الذي تقدم ذكره أرقام تشير الى ان عدد القتلى في الحرب الاهلية الاميركية بلغ ٩٤ ألفاً والمتوفين مصابين بمرض ١٨٦ ألفاً . وبين الأرقام الواردة في المقال الماضي والأرقام الواردة في هذا المقال بون شاسع والارجح ان المقال الاول يشير الى قتلى وموتى جيش الشمال دون جيش الولايات الجنوبية

الى تفشيهِ في المانيا حيث مات به ١٧٠ ألفاً وانتشر في سويسرا وبلجيكا وهولندا ثم في ايطاليا والنمسا وبلغ انجلترا. فعدد الوفيات بالجدري في بريطانيا لم يزد على ١٥٠٠ في سنة ١٨٦٩ ولكنه بلغ ٢٣ ألفاً في سنة ١٨٧٢ ولم تنج من آثاره البلدان السكندناوية وروسيا وجزائر الهند الغربية وجزائر المحيط الهادىء

وقد لا تعد الانفلونزا من اوبئة الحرب بحصر المعنى. ولكن الوباء الذي تفشى سنة ١٩١٨ — ١٩١٩ يعد أحد الأوبئة الكبرى في التاريخ. ففي عصر الامبراطور يوستنيانوس دام وباء الطاعون اثنتين وخمسين سنة وبلغ عدد الوفيات به في القسطنطينية عند ما بلغ اشده من خمسة آلاف الى عشرة آلاف كل يوم ودام ذلك نحو ثلاثة اشهر. ويقال ان وباء القرن الرابع عشر المعروف بالموت الاسود حصده ٢٥ مليون نفس أي ربع سكان القارة الاوربية حينئذ. ولكن هذين الوبائين لم يتفشيا تفشياً عالمياً كما تفشى وباء الانفلونزا الذي فاع في اثر الحرب العالمية الماضية. ولا يعلم عدد الوفيات التي نشأت عنه في شتى بلدان العالم. ولكن اذا أضفنا الوفيات به في الصين وروسيا الى خمسة ملايين وفاة في الهند و ٨٠٠ الف في ايطاليا و ٤٥٠ ألفاً في الولايات المتحدة و ٢٥٠ ألفاً في اليابان و ٦٠٠ الف في المانيا وارقاماً اخرى على هذا النمط في بلدان اخرى فقد لا يقل عدد الوفيات به عن عشرين مليون وقد يبلغ ثلاثين مليوناً وليس ثمة ريب في ان الجوع ونقص الغذاء يفضيان الى كثير من المرض والموت ولا سيما في أثناء الحرب، عندما توزع الاقوات بالجرية والبطاقة، ومن هنا ما رويناهُ قبلاً في المقتطف من عناية بلدان شتى كبريطانيا و المانيا والولايات المتحدة بالاعتماد على البحث العلمي في جعل الجرية المتاحة لعامة الشعب محتوية على جميع عناصر الغذاء الأساسية. وهذا البحث العلمي في الغذاء نشأ معظمه عن أمراض نقص الغذاء التي تفشّت في أوروبا بعد الحرب الماضية، وفي سائر البلدان حيث مستوى الغذاء العام دون الحدّ الوافي بحاجة الجسم

ففي فينّا مثلاً انتشر الكساح انتشاراً عظيماً في سنة ١٩١٨ وهناك كشفت حقيقة عظيمة الشأن في علم الغذاء الحديث وهي ان ضوء الشمس يحلّ محلّ فيتامين D. والأمثلة على ذلك كثيرة. والاسكربوط — وهو من أمراض نقص الغذاء — مرض يقرن انتشاره دائماً بالحروب. أشار اليه أبقراط وتفشّى في أثناء الحروب الصليبية وحرب القرم وحصار باريس ١٨٧١ وبورث آرثر ١٩٠٤ — ١٩٠٥ وبلغ عدد الاصابات به في الحرب الاهلية الأميركية ٣٠ ألفاً وانتشر انتشاراً واسعاً في روسيا وبلغاريا ورومانيا وسربيا و المانيا والنمسا في الحرب العالمية الماضية. وكذلك الزهري وذكره الأول في أوروبا يرتدّ الى القرن الخامس عشر ويقرن بحملة شاول الثامن على ايطاليا وعندما تفرّق جيشه نشر هذا الداء في انحاء اوربا

رابندرانات تاجور

كما أعرفه



لمحمود المنجوري

— ١ —

وُلِدَ تاجور في مدينة كلكتا عام ١٨٦١ م ، وكان أبوه صديقاً متعبداً ، يخرج كل يوم الى منسك له بالغابة ، غدا فيما بعد مدرسة تاجور التي أشرقت منها مبادؤه الروحية والعالمية . وكان تاجور في صباه حدثاً متروكاً لرعاية أم لم ينعم بحنانها الا قليلاً ، اذ توفيت بعد مرض أصابها ، فكان لوفاتها في ذكريات تاجور أبلغ الأثر وأعظم التأثير . ولم يجد تاجور في بيته رعاية ، اذ انصرف أبوه عنه الى منسكه ، يحدث الناس والأتباع فيما يدعوا اليه الرجل الحكيم الفيلسوف من النظر والتفكير في النفس وفيما حولها من كائنات . فنشأ محروماً من حنان الأم ورعاية الأب ، ولكنه خرج من الفجيرة سلواناً اذ لجأ الى الطبيعة ينظر فيها ويعيد النظر والتفكير ، حتى ارتسمت في خياله الصغير صور الحياة ، ولقد سجل تاجور هذه الفترة من صباه في كتاب أرسله الى صديق فقال فيه :

« لم تلبث ان حرمتني الايام من أمي وأنا حدث صغير فأصبحت وحيداً بالدار ، آوي الى نافذته ، أرقب الطبيعة فارتسمت في أخيالي ما يحول بالعالم من صور شتى ، لقد كانت لي الطبيعة الرفيق الذي لازمني والذي وجدته جوارى دائماً . إني لا أعرفه حقاً ولكنه رفيق مخلص عامخي كل شيء » (١)

ولما بلغ أشده ذهبوا به الى المدرسة ، ولكنه لم يلبث ان ناله ما يغيظ قلب الطفل البريء من اعوجاج نظام لا يتفق مع ميوله الحرة ، فخلق سوء نظام المدرسة من قلب تاجور ، البريء المجدد المحب للطفل ، والذي يرى فيه العالم منظوياً الى حين ، فهجر المدرسة سخطاً ، ولكن والده الشيخ عهد به الى اساتذة آخرين يعلمونه في البيت ، فلم يغير هذا التعليم من رأيه ، ولقد قال يوم افتتح مدرسته

« لقد قلت لكم انني عند ما أنشأت هذه المدرسة ، لم تكن لي خبرة ما بالتعليم ، ولكنني في الواقع اكتسبت منذ تلمذتي خبرة سلبية عرفت بها ما يجب ألا يعامل به الطفل ، وهو ما كان موضوع الآمي ، وكنت أتأم مدة طفولتي من شعوري بان التربية التي كنت أترني على نظامها في المدرسة لاصلة لها بالعالم »

ولبت تاجور في البيت بين اساتذته ، فتنبهت مواهبه التي أشربت منذ الطفولة حب

الطبيعة وجمالها، فال الى الأدب في حياته ، فنظم الشعر والأناشيد، وكتب القصص الصغيرة محاكياً شعراء البنغال ، حتى اذا ما بلغ الثامنة عشرة من عمره ، استرجع ما بقلبه من صور واستعاد اشباح السنين الماضية، واتخذ منها العبرة والتفكير ، واستوحى الطبيعة التي نشأ في مهدها يتيماً محروماً ، وصوّر الآلام التي تتابعت عليه منذ فقد أمه ، ومنذ حرمانه معين العطف والحنان ، واستوحى الى هذا ما كان قد قرأ في الكتب الدينية من أساطير وقصص فكتب في هذه الفترة « أناشيد المساء » ثم « أناشيد الصباح » وهما صورتان متقابلتان من وجهي الحياة التي تعرض للشباب، يأساً حيناً وأملأً حيناً، حزناً حيناً وفرحاً حيناً ، حباً حيناً وتردداً حيناً

ولقد كان تاجور في هذه الفترة يلحن الاغاني الدينية ويرتلها في المعبد بصوت أغن حبيب الناس فيه ولقت اليه انظارهم . وفي هذه الفترة الدقيقة من الحياة ، عندما يتفتح قلب الشباب ، ويقبل ربيع الحياة بهيجاً أو عابساً ، في هذه الفترة الدقيقة من الحياة يجب أن نبحث عن أثر المرأة في الشاعر . ولكن تاجور قد تركنا دون ان يرشدنا الى المرأة التي ألهبت قلبه ، والتي علمته أغنية الحب الاولى — لقد قال ان الطبيعة هي التي علمته كل شيء، ولكن الطبيعة لا تعلم الحب ، وإنما تعاون الشاعر على ان يدرك معاني الحب ، وهو لم ينشر كتبه عقب تأليفها ، وهو لم يقدم لنا شعره طبق السن التي قاله فيها — ولذلك اضطرب ادباء الغرب جميعاً في تخريج شعر الشباب من بين أشعار تاجور الصوفية ، وذهب أغلبهم الى وهم خاطيء فغلبوا الصورة الصوفية على جميع أشعار تاجور — ولكن كيف لا يجب تاجور ، وهو شاعر الحب الذي دلّ الذات البشرية على طريقه المقدس ، كيف لا يجب تاجور وهو الذي يدعو الناس الى الانسجام بروح الكون — ان المرأة ولا شك ، قد لعبت بأناملها أدق وأعز الانعام القدسية في قلب هذا الشاعر — ان خيال المرأة يدور دائماً في شعره ، بل ان شخصها لقائم في ديوانه، وان عطفها وحنينها لمترددان دائماً بين متاحفه الكثيرة التي ألفها في عهوده المختلفة وأغلب الظن عندي ان تاجور كتب في فترة شبابه رواية « شترا » وهي مسرحية غنائية اقتبس فكرتها من اساطير اللغة السنسكريتية من كتاب « المهاب هراتا » المقدس . و « شترا » امرأة نشأت نشأة الرجال لثرت ملك أبيها ، ولكن قلب المرأة لا يغلف ولا تكبت فيه الأنوثة ولا الحنين الى الطفل هي لم تخلق الا لتكون عوناً للرجل ومهبطاً لقلبه وأماً لولده ، ومشاعرها جميعاً توحى اليها ان تكون نظاماً مكلاً للاضداد فهي كالسلب من الايجاب والفضوء من الظامة والحركة من السكون ^(١) — وعندما تقابلت « شترا » « بارجونا » أول رجل

لقيت، تداعى استرجالها وتفتحت أنوثتها وعصف الحب بقلبها. وهنا يقول تاجور على لسانها:

« لقد شعرتُ اني امرأة وخلعت زي الرجال وعشت بقلبي للرجل »

ولبت تاجور في كلكتا حتى دعاها ابوه الى القرية ليتولى أمر ضياعه فعاد الى الريف وما لبث طويلاً حتى تزوج، وكانت سنة قد قاربت الثالثة والعشرين. وقد أفاد هذا الانتقال تاجور اذ هيأ له الاندماج في الريف والاختلاط بالشعب والاستماع الى أحاديث الناس وأغانيهم وتاجور يقرر ان فلسفته انما هي فلسفة الشعب الهندي وفي هذا يقول : —

« لقد يحسب بعضكم فيما قرأ مني أني فيلسوف ، وربما كان لي حقاً من الفلسفة حظ ونصيب ، لكن ليس حظاً يفيض على شعري ويبعث بهاءً لدي الى قاع سحيق تغمره مياه المحيط فلا يرى من خلالها الا كما ترى الاسماك الصغيرة تامة وسط النج العظيم ، انما أنا ككثيرين من أهل الهند وفلسفتي لا تتعدى فلسفة الشعب ، وتلك عندي فلسفة الشاعر » (١)

في فترة الريف عاش تاجور زوجاً باراً بزوجه واولاده ، هادئاً قانعاً بعواطفه ، فيها استمتع بجمال الحياة بقدر ما استمتع بلذة فكره وعصارة أخيلته، اذ ألف في هذه الفترة أغاني وقصصاً وكتب روائع الشعر، ومن مؤلفات هذا العهد « البستاني » و « هبة العشاق » و « الهجران » وروايات ومسرحيات أخرى متعددة

لقد كان هذا العهد هو ربيع حياة شاعرنا الحكيم ، لبت فيه الى الاربعين ينعم بمباهج الحياة وأسرارها اللينة ، ويلقى الدنيا من وجهها الضاحك الباسم — ولكن ماذا بعد الربيع ؟ لاشيء غير خريف يترك الشجرة عارية من ورقها وزهرها . لاشيء غير وحدة في صحراء الحياة لمجالد الزمن ! لقد هبَّت العاصفة بدار تاجور المبتهج فماتت زوجته وانطفأ مشعل ابنته الكبرى ثم خج الشاعر الحزين في أصغر ابنائه ، كل هذا في بضعة أشهر ولكن تاجور ما كان ليبتئس ، ولكنه كان ليرضى ، يستقبل الضّرّ فيأنس منه الخير. ولقد سجل تاجور هذه الفترة في ذكرياته

« ان عاصفة الموت التي اجتاحت داري وقصفت زهرات أبنائي ، كانت علي نعمة ورحمة ، فقد أشعرتني بتعني ، وبعثتني الى انشاد الكمال وألهمني ان العالم لا يقتقد ما يضيع منه . لقد عرفت حقيقة الموت ، إنه الكمال المطلق ، وليس من شيء في الحياة بذهاب عبثاً ، بل مرده الى رجعة ، تاركا العبرة نسلوها وتفكر فيها . لقد أدركت أننا في هذا الوجود لم نوصد علينا أبواب سجن ، لقد انتزع القضاء ذخراً كان في حوزتي ، ولكني آنست في هذا الذهاب معنى الحرية ، فاقتربت السكينة من نفسي ، ولم تعد الحياة تثقل علي ، اذ الموت رافع عبثاً في يوم ما » (٢)

في الحق ان هذه الفجعة هي التي كانت السبب في تعريف تاجور للعالم الغربي ، اذ خرجت منه المعاني الصوفية التي ضمّنتها قراءاته في اللغة البنغالية والتي ألف منها في أسلوبه وخياله

كتاب « جيتا نشالي » أي « القربان الشعري » الذي تقدم به الى العالم الغربي لأول مرة فعرفه وأحبه وأقبل على ادبه وشعره وفلسفته اقبالا لم يلقه شاعر شرقي قبله غير عمر الخيام و« القربان الشعري » نثر مسجع ترجم الى الانكليزية من البنغالية وهو يصور هذه الفترة القاسية من حياة تاجور ، يصور الخريف بعد ربيع مبتهج ، يصور صلوات وابتهالات متعالية من قلب حكيم شاعر مدرك لحقيقة الحياة ، هو تصوف ورمز الى المثل العليا والجمال المطلق ، وهو صورة مقابلة لهذا الشعر الغزلي العفيف الذي ثار به قلب تاجور أيام شبابه ، والذي جمع من الحب والألم والأمل والحيرة واليقظة والتطلع والاستكانة والتردد ما جمع ، والذي ضم من أطياف المرأة أشباحاً حلوة تلوح بالآمال والأمانى تارة وبالندم والخيبة تارة أخرى. هذا « القربان الشعري » ^(١) قد دفع الناس في الغرب من أدباء ونقاد وكتاب الى ان يخطئوا في فهم تاجور ، لان تاجور قد قابلهم به في صورة التصوف فلما قابلهم بعد ذلك بأشعاره التي نظمها أيام الشباب حسبوا تاجور أيام الشباب هو تاجور بعد الأربعين — علي ان تاجور في « القربان الشعري » كان الطائر المأخوذ بحمال الله وجلاله ، ولقد قال عنه أحد النقاد الفرنسيين « إن القربان الشعري كأسرافة بالفرح والأمل ومحبة الله » . وانك لتدرك من ابتهال تاجور الذي يقول فيه :

« أنت الذي أريده ، أنت وحدك
أنت يارب ! أنا مضغ اليك ، مأخوذ أبداً بك في صمت
لست أعرف كيف أدرك أسرار الهامك
إن موسيقاك لتضيء الدنيا وتسري بأنفاسها في أرجاء السماء
بينما يجتاز فيضها المقدس السدود ويجرف الاصفاد
إن قلبي تواق الى الاتصال بأنانيتك
وقد جاهد على ان يخرج الاغان طاهرة ليلتئم بألحانك ،
ولكن عبثاً ما فعل قلبي
سأتكلم إذن ولكن أنسى لبيان ان يسمو على الاغان
اني جامد لا بعد عن نفسي خطايا الزمن
اني واثق فيك أيها الحق الكريم الذي أشعلت نور الحكمة في عقلي
سأبذل نفسي لالتصمك في جميع اعمالى
أيأ قوياً . ان قوتك تهتني الصبر على العمل

نعم انك لتدرك في هذا الابتهال الصورة الصوفية التي أخذت بلب تاجور ، وإنها لواضحة المعنى في غير رمز ، وانك لتجد هذه الصورة الصوفية حاضرة أيضاً في ديوان « قطف الثمار Fruit-Gathering » — والصورة الصوفية التي تدور في شعر تاجور ليست الا الميراث الشعري الخالد الذي تلقاه الشاعر الحكيم من قلب هذا الشرق الكبير ، الذي أوحى اليه بأصول المدنية الروحية التي لن تقهر ولن يمسخها وهن أو ضعف

ولقد قدّم « القربان الشعري » للعالم الغربي الشاعر الايرلندي الشهير ييتس بمقدمة بليغة قلّد فيها تاجور إمارة الشعر في العالم في القرن العشرين ، ولقد خاطب ييتس أهل الغرب ، وهو يقدم لهم « القربان الشعري » في قوله : —

دونكم نموذجاً سامياً لأدب الشرق بوجوده ، شاعره العالمي تاجور ، فيعطيك صوراً للحب ليست كما عهدتم معشر الشباب من بحون وعث ، ستجدون فيها أنها العشاق ترتيلاً نبيلاً يدنّيك من الجمال ، ويقرّبك من ادراك الحق والجمال ، أن تاجور صورة لهذا الشرق الخالم العظيم ، ومهمه في الحياة هو أن يكشف الروح ، ويعرف اسرار وحدتها بين الكائنات ويتخذ له من قيمها حصانة لادراك الحق المطلق وتهذيب العقل والقلب حتى تدرك الانسانية الكمال المثالي

ولبت الغرب متأثراً بوحى هذه الصور الصوفية العذبة ، فلما أخرج تاجور دواوين اشعاره التي جادت بها قريحة الشباب ، بقيت هذه الصور مترددة مطبوعة في أذهان الادباء ، فاختلط عليهم الأمر وتناولوه نقّاد بأنّه شاعر صوفي بارع في المذهب الرمزي وفي الحق أن ثمرات الشباب كديوان « البستاني » The Gardener و « الطيور الشاردة » « Stray Birds » و « الهلال » The Crescent Moon و « هبة العشاق والهجران » و « شترا » ، كل هذه وما إليها من اشعار الشباب انما تكشفنا على ناحية بهجة من حياة تاجور الاديب العظيم . وتدنيننا من أمر قد التبس على كتاب الغرب ونقاد تاجور ، وهذا الامر جليل خطر في حياة الشاعر وهو ليس بأفكار صوفية ، وانما هو وحي المرأة في قلب كل فنان وأديب وصاحب رسالة كشاعرنا تاجور ان تاجور لا ينكر أثر المرأة فيه ، هو يراها قوة تعينه على الحياة ، لا يناهضها ، ولا يرى فيها الخصم العنيد ، بل ينشد فيها الحب والرحمة والتعاون ، وهو يخاطبها في ديوانه « البستاني » خطاب الفن والموسيقى فيقول لها :

أيتها المرأة لست من صنع الخالق وحده :
بل أنت من فن الرجال
هم أبداً ينترون عليك الجمال من أعماق قلوبهم
فالشعراء ينسجون لك ثوباً من خيوط الخيال الذهبي
والفنانون يسبقون على جبينك فناً من الخلود الناضر
وبالبحار تلتقي درها ، والمناجم تنثر عسجدها ،
والبساتين تتفتح عن أزهارها
كل هذا ليكون لك جميعاً حلّة وزينة وبهجة .
بينما رغبات القلوب تنفتح شبابك بهاء
أنت ... نصف امرأة ونصفك خيال .

فالمرأة في شعر تاجور عامل حي يقظ متحرك ، خرجت في فترة شبابه من نفسه العبقريّة أعز ما تجود به الحياة من حب وجمال وسموّ وفن وأدب وموسيقى . كانت له فيما بعد

الأربعين سبيلاً مأموناً لادراك حقائق الأشياء ومعاني الصوفية العذبة التي ورثته إياها قراءاته في أدب الهند وفلسفة الشرق الحكيم ، ولقد استطاع تاجور أن يكتب فلسفة خالدة لهذه المعاني كلها ، وأن يبشر بها كأوضاع ثابتة لمدينة روحية ، يجب أن تسود العالم في وحدة متماسكة بعيدة عن الاثرة والانانية ، وما يدعو اليه الغرب من تعاليم آليّة قائمة على المادة وحدها . فيتحدث تاجور عن الحب ويحاضر تلاميذه وأتباعه في مدرسته فيقول لهم :

« عجب أمر الحب ، لا تتنافس فيه العبودية والحرية ، ما لا يتعارضان عند بابه ، بل يلتقيان فيه ويتآلفان ، لأن الحب يستعبد بقدر ما يحرر ، وأن حاجة النفس الى العبودية لا تقل عن حاجتها الى الحرية ، وأن من أسمى معاني الحب أن يخضع للقيود ويرضى بالحدود كما أن من معانيه السامية أن يحطم الاغلال ويحلق في الافاق بعيداً عن كل سد وحاجز . الا ان العبودية في الحب مجد سام كالحرية . اوليس يسبر غور الحب بما يحتمل الحب من ذل وعبودية ؟ » (١)

وغاية الحياة عند تاجور أن تُطبع الحياة البشرية بطابع الخير والمحبة ، وأن تنزع عنها طبيعة الانانية والاثرة ، فهو يقول :

« ومتى استتب في ضميرنا نظام الحياة ، واطمان الى ما في الحليّة من إيلاف منظوم ، أصبح ادراكنا لبخير الخير جامعاً وطالياً ، وأتم طابع الجمال في حياتنا بميسم الخير والحب العام ، وتوجه هذا بالمدينة قبل البقاء والخلود ، هذا هو غاية الحياة »

وأعلن تاجور رأيه في الموسيقى فقال :

« الا ان الموسيقى هي أتنق وضع للفن ، لهذا كانت ادل تعبير وأوضح بيان للجمال في شكله وروحه ، وهي أقل الاوضاع حملاً بأثقال التعبير عن الفن الخالص . وأتنق أوضاع الموسيقى وأقربها من الفن والجمال هو الصمت والعبادة »

وليس الادب والشعر في رأي تاجور خيالاً مكذوباً ولكنهما حقيقة وممتع بالحرية ندركما في نفوسنا وفيما حولنا من كائنات :

« الوصول الى حقائق الأشياء ، هو المتاع الحق بالحرية ، ولبلوغ هذه الغاية ولاكتناه الحقيقة التي تقفل أبوابها أبداً دوننا يجب أن نبعث وأن نطيل البحث وأن نتصل بالأشياء المحيطة بنا ، فإذا اتصلنا بالأشياء من طريق روحنا كشف لنا عما فيها من سر واستمتنا حقائق الحقيقة . وعندئذ نشعر بها تمام الشعور ، ونحس هذه الانهائية المنتشرة في الكون كله والتي لا نراها بعين غير عين الروح والوصول الى الحقيقة وسيلته الشعر ، فالشعر هو جواب الروح الخالدة ، نداء الحق الكائن في كل مكان ، والشاعر هو الذي يرى الحقيقة ويبينها ، الحقيقة كما هي لا يزينها الوهم والحقيقة من حيث هي جمال مطلق » (٢)

وليس من مطالب الشعر أن يكون فلسفة ولكنه لن يوف معانيه إلا اذا وجه وجهه الفلسفة . وأعذب الشعر ما اتصل بالحياة ، وأوصلنا إليها من طريق فهمها وادراكها ، ولا

يكون الشعر متعة إلا إذا أظهرنا على خلود الروح من طريق الوصف والخيال والشعر والفلسفة لا يتناقضان ولكنهما يتعاونان ، ولن يكون شاعراً المتشاؤم المهزوم ولا الثائر المحطم الأعصاب ، لأن الشعر هو ترديد لنغمات قلب كبير مفعم بالايمان والحب والنور والهدوء والسلام ، ولن يكون شاعراً هذا الملحد المرتاب في الروح العليا التي تسيّر الكائنات ، ولن يكون شاعراً هذا الزاهد ، لأن الزاهد عدو الحياة ، وكيف يشعر بالحياة عدو لها يناقضها ويعلمن سخطه على منشئها . ان الذي لا يرى في الحياة جمالاً لن يكون شاعراً ، وان الذي لا يبحث عن الجمال لن يكون شاعراً ، وان الذي لا يدرك كنه الروح لن يكون شاعراً . يجب ان يفهم الشاعر الحياة أولاً ، ويجب ان يخلق من شعنها نظاماً منسجماً ومن شرها خيراً ، ويرقب الأبد من خلال الفناء ، ويرضى من فواجعها بما تركه هذه الفواجع في النفس من تهذيب واصلاح . هذا هو الشاعر او هذا هو تاجور الشاعر

وأما الفيلسوف فهو الذي يستطيع ان يعبر عن آراء الناس وعقائدهم ، والذي يكشف المعاني المسجلة في الاشياء التي تحيط بالحياة ، وينفذ الى ما وراء الاشياء تاركاً للشاعر ادراك الجمال والفهم من مظاهر هذه الاشياء ، هو يبحث عن الحياة داخل الاشياء واجداً الحقيقة في كل شيء ، داعياً الى الوحدة الروحية بين الكائنات جميعاً . والفن في نظر تاجور :

«هو خُلق يسمو بالحياة البشرية على ما تلح عليها الآلية والمادية ، وهو ينسجنا قصصاً وصفاً ثراها ، ويخرجنا من قيود الاوضاع والعرف ، والفنان هو الذي يطلق في نفوسنا جمال الروح ، ويشع فيها ادراك الحقائق (١) هذه بعض مقومات الثقافة الأدبية والفنية التي أعلنها تاجور للغرب ، وهو وان كان عالمياً في معانيه ومقاصده ، إلا أن صورة البيئة الهندية وصورة الشرق تلازمان شعره ولا تفارقان قلبه أبداً ، فالنهر والربيع وشجرة المانجو وزهرة اللوتس والحناء وأوراق الموز وحقول الأرز والطاووس ، والفائدة ذات النقاب الشف ، والألوان الزاهية ، والألحان ذات الأثر الباهت — جميع هذه الصور الشرقية تدور في شعر تاجور العالمي فتكسبه حلاوة وروعة من روح الشرق الخالد . هي صور تدور في شعره تبحث عن وحدة العالم في فلسفة وإلهام صادق يوحى ادراكاً ما وراء الحس من الوعي الداخلي ، وبرايز المضمّر من صور النفس في اطار يلهم المعنى تلقائياً

وتاجور فيلسوف يدعو الى الاتصال بالعالم ، وهو بهذه الدعوة يهدم خرافات الهنود التي تدعوهم الى التقشف والانضواء الى النفس — ولقد وجد في الرحلات المتواصلة سبيلاً الى هذا الاتصال فرحل الى اوربا وأميركا وطاف بممالك الارض غير مرة وقابل الملوك والقادة

والزعماء ، ^(١) وأعلن لهم رأيه في صور مختلفة — وعاد الى بلاده ، وفي نفسه خبطة باكية على المدينة الغربية ، مدينة الانانية والاثرة ، مدينة الفتك واذلال الانسانية واهذار كرامة الروح ، مدينة الجشع والجوع التي قال عنها يوم عاد « انها حقاً مدينة ترقص فوق البركان » وجد تاجور عند ما عاد من اوربا سنة ١٩٢١ ان عليه مهم الرجل الاجتماعي المصلح وان ما فكر فيه شاعراً وفيلسوفاً وحكماً يجب ان يعالج من طريق العمل الاجتماعي ، وان رسالته للانسانية يجب ان تؤدي في وجه جديد ، من طريق التعليم والاصلاح والدعوة والتبشير للبداء الحقة ، انقاذاً للبشرية ان تنهار ، فجدد مدرسته في مدينة بلبور التي كان قد أنشأها للاطفال في سنة ١٩٠١ وغير اسمها من « شانتى نكتال » اي « مرفأ السلام » الى معهد عالمي سماه (فسفا بهاراتي) ودعا فيه الى تعاليم جامعة غير ناظر الى جنس او لغة او دين او لون . وأعلن يومئذ

« بان يكون مهم هذا الجيل هو محو الاثرة من نفوس بنيه ، وان يجاهد الناس في سبيل تغليب الخير في مواطن الانسان وان يحاربوا الشر ويدفعوا به عن شعورهم وكرامتهم وان تمنحني فوارق الجنس واللون وان تسود العالم الوحدة الروحية »

هذه هي المعاني السامية التي بشر بها تاجور ، ثم أئذر الغرب في محاضرات أذاعها عليه في اوربا واميركا

« إني مشفق على كنوز هذه المدينة الغربية . ومن الواجب انقاذها مما هي فيه من اثرة وأنانية ، يجب ان تسودها الروح ، وألا يندفع الشباب في عصبية مهلكة وراء العقائد والآراء الهادمة »

ويخشى تاجور ان يصاب الشرق « بداء الغرب » فيصاب في أعز ما أذخر من ميراث روحي ولقد بكى تاجور عند ما وصل اليه ان اليابان ضربت الصين بالقنابل وأذاع في أكتوبر سنة ١٩٣٧ رسالة لاسلمكية استنكر فيها ان تقوم أمة من الشرق بتجنح أمة شقيقة لها ، وطلب الى ساسة اليابان ان يغلبوا روح الشرق الكريم ، وألا يندفعوا وراء داء الغرب الويل وكتب رسالة الى شاعر اليابان « يوني ناجوتشي » قال له فيها : —

« إن الشرق فجر الضمير الانساني ، ليا بى اليوم ان تضرب اليابان المدن البريئة في الصين وان تقتل الاطفال والشيوخ والاشجار والحيوان بالقنابل »

على ان رحلات تاجور الى العالم الغربي لم تكن السبب في تعريفه للغرب ، فلقد سبقته اليه شهرته ، فمنحه مجمع ستوكهلم جائزة نوبل في الاداب في ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٣ ، وقرر ان شعره يشمل جميع مطامح النفس . وشهد تاجور مؤتمر الاديان سنة ١٩١٢ واحتفل بعيدة الحسيني سنة

(١) زار تاجور انجلترا وفرنسا سنة ١٩١٢ وحضر مؤتمر الاديان في باريس في هذه السنة ثم زار أوروبا سنة ١٩٢١ وطاف بألمانيا ثم زار اليابان وأمريكا وروسيا السوفيتية والصين وجنوب أفريقيا والعراق وكندا وآخر زيارة لأوروبا كانت سنة ١٩٢٦ حيث زار تركيا الحديثة وإيطاليا الفاشية وزار مصر في آخر طواف له

١٩١٢ ، وترجمت كتيبه بعد نشر «القربان الشعري» الى جميع اللغات. وألعم عليه ملك الانكليز في سنة ١٩١٥ بلقب «سير» . ولكن تاجور غضب في سنة ١٩١٩ عندما شعر بان الانكليز قد أساءوا الى أهل بنجاب في مأساة «امرتسار» فاحتج لدى الحاكم ، واعتذر عن قبول هذا اللقب . وأظهر عطفه على غاندي وان كان لا يتفق واياه في سياسته وقال : —
« إن الشرق يأبى ان يؤخذ بالعنف »

ولقد سألت تاجور يوم زار مصر في سنة ١٩٢٦ بعد ما طاف بممالك اوربا ، عما لفت نظره فيها فقال

« أنا أخشى ان تنهار هذه المدنية ، وفيها ذخري لا يعوض ، إن أوروبا تعاني تياراتين مختلفتين تيار الشيوعية وتيار الفاشسية ، وكلاهما تيار عنيف جارف . وأنا لا أؤيد العنف في اي مظهر من مظاهره »
ولقد أثرت في نفسي زيارة تاجور ، وأيقنت عندما سمعت صوته في نبرات متقطعة هادئة عذبة منسجمة تسري الى أذني ، فتأخذني بجمال عذب يخلق في النفس فيضاً من الأحلام ، أيقنت ان هذا الصوت إنما هو ترديد نفس موسيقية بفطرتها ، وآمنت بما كنت قد قرأته عنه من قبل ، من ان تاجور موسيقي يلحن بنفسه اشعاره وصلواته ، وأنه لحن أكثر من ثلاثة آلاف أغنية من أغانيه . وأدركت يومئذ من جلال روحه وسهولتها وبراعتها حبه وشغفه بالاطفال ، ووجدت في جاذبيته ما يدني الارواح البريئة اليه ، وان من أسرار عظمة هذا الرجل الحكيم البساطة وروح الطفولة الشائعة في خلقه وتعاليمه

ولقد احتفلت به مصر يومئذ ممثلة في مليكها الراحل الكريم وفي زعمائها وقادة الفكر فيها ، وأذكر أنه عندما تشرف بمقابلة المغفور له الملك فؤاد طلب الى جلالته ان يهدي الى جامعته بالهند الكتب الأدبية التي صدرت بالعربية بمصر التي تعين الهند على التفاهم مع الروح الاسلامي الصحيح . وقال : لقد بلغت مصر من الروح الاسلامي ما لم تبلغه امة اسلامية اخرى ولم يكن تاجور اني اكتوبر سنة ١٩٣٢ من مؤيدي المهاتما غاندي في آرائه السياسية ، ولكنه انضم الى غاندي عندما صام صومه الطويل ، داعياً الشعب الهندي ان يلغي الفوارق بينه وبين الانجاس ، وقال يومئذ تاجور :

« إن إزالة الفوارق ورفع طبقة من البشر الى مستواها البشري هو أعظم عمل انساني يدعو اليه عقل بشري »
ولتاجور نفس لا تصيبها الشيخوخة ، فهو دائم مقبل على الحياة متذوق جمالها ، مبتهج بها ، ويقول : —

« إننا لن نفهم الحياة إلا اذا فرحنا بها ، فالفرح هو سر المعرفة بالاشياء ، والبهج غذاء روحي لا ينضب والفنون تعيننا على هذا الفهم دائماً »

فلما بلغ تاجور الثامنة والستين شغف بالرسم شغفا كبيراً ، وأخذ يخرج ما كان يحول

بنفسه من صور ومعاني ومشاعر والهلمات على اللوحة ، متخذاً الألوان والرسوم أداة لتعبيره . وقد أقيمت لصوره معارض في لندن سنة ١٩٣٨ ، فكانت قصائد من الشعر ملونة في الصور ، ثم عرضت صورته في برمنجهام وموسكو وبرلين وميونخ وباريس ونيويورك . وألقى تاجور في اميركا محاضرات ، نقد فيها المدنية الأميركية ، وبعث الى الاميركيين صورة من فكرة الشرق في معنى الوطنية وقال : —

«إن القومية يجب ان تكون عالمية وألا يندفع الشباب بأعصابه المهتاجة وراء ادعوات الزعماء والقادة ، فهذه الحماسة الكاذبة إنما هي عمل ليس من الخير في شيء ، فهي اندفاع عنيف سيؤدي الى اراقة الدماء والدمار ويقول : «إن التعاون الدولي لا يكون يعقد المعاهدات وإنما يكون بالتقارب الروحي والثقافي بين الشعوب» (١)

وعند ما بلغ تاجور الثمانين منحه جامعة اكسفورد لقب دكتور في الآداب ، وكلفت السير موريس جوير كبير قضاة الهند أن ينوب عنها ويقدم لتاجور براءة اللقب في قريته تقديرًا لآدابه وتعاليمه . وظلت روح تاجور عالية سامية في أجوائها على الرغم مما اصابه من ضعف في أعصابه ومرض لازم طويلاً ولبت قوي الروح حتى أطيء سراحه في ٧ اغسطس ١٩٤١ لينير مكانه المقدس في سماء الابدية الخالدة ، فلقني ربه غاية ما كان يصبو اليه في حياته شاعراً وفيلسوفاً وفناناً . وليس الموت في نظر تاجور إلا الاتصال بالله والفرح به ، وليس هو انفصالاً مقطوعاً وإنما هو لون آخر من ألوان بقاء الروح وخلودها ، أو وجه آخر لهذه الحياة البشرية ، وهو الوجه الخيّر الفاضل ، وتاجور يقول لرفاقه في المدرسة : —

« لا تبكوا أيها الرفاق ، ولا تحشوا الموت فلنكم فيه . مسرة ورضا ، ولكنكم فيه الوصول الى الحق المطلق ولكنكم فيه مصير مريح موصول بالحياة الابدية — لقد دعينا الى الحياة فليتنا وبورك لنا في حياتنا ، وسندعي الى الحياة مرة أخرى على ضفاف الابدية ، حيث نفهم حياتنا في لطف الله ، ونشعر بوجودنا بين يدي الحقيقة المطلقة . انكم أيها الرفاق كالطفل ين حينما تنزع أمة نديها الايمن من فمه ، مع أنها لا تلبث ان تناوله الشدي الايسر الذي يجده فيه العزاء والسوى » (٢)

ولتاجور في القربان أنشودة يقول فيها :

« لقد أجاز لي صاحب الامر الذهاب

فودّعوني يا رفاقي

اني محيىكم جميعاً ، ثم لاحق في سبيل من سبق

وهذا مفتاح بابي أردّه ،

وها كم دارني قد نزلت عن حقي فيها

واني لا أسألكم غير وداع طيب »

فودعاً يا تاجور ، يا من ثويت في ضمير الحياة ، بعد ان ملأت كأمها شعراً ومنكته وحبّة وفلسفة ، وقدمت أشهى قطاف غمرك ، قرباناً للانسانية مبذولاً

نقل الطاقة الكهربائية

أمواجاً في الاثير

والتقاطها واستعمالها بغير أسلاك

توالت العجائب اللاسلكية بعضها يقبوا بعضاً بسرعة تحيّر الألباب . وليست اذاعة الانباء والخطب والموسيقى الا ناحية واحدة من نواحيها . ومن عهد قريب قال لورد بيشر بروك ان بريطانيا تعتمد على نظام خاص دقيق من الاشارات اللاسلكية ، لتعيين مواقع الطائرات المغيرة قبل وصولها الى الساحل . فتنبه هيئات الدفاع الجوي الى التأهب لملاقاتها وتلافي خطرهما . وقد سبق للامير كين استعمال جهاز من هذا القبيل في بعض طائراتهم ، لمعرفة ارتفاع الطائرة عن الارض في ليل بهيم او جو عاصف متجهّم . واستعملت الاشعة التي تحت الأحمر للرؤية في الظلام . فهي تبعث من جهاز مرسل خفية في الفضاء لأنها لا ترى بالعين ، فاذا انعكست عن جسم ما طبقت أساليب التلفزة في تحويل الاشعة المنعكسة صورة تظهر على ستار ، فيرى الجسم عن بعد ولو كان الظلام يلفّه . وقد اطلق على هذا الضرب من التلفزة وصف التلفزة الليلية . وقد وصف المر الكسندر رسل في مجلة نايتشر العلمية من سنوات التجربة التي طبّق فيها هذا المبدأ فقال و « جرب المستر بايرد Baird جهازه امامي وامام المستر كروكس فجلس احدهما في الحجرة التي فيها الجهاز المرسل ومعه احد مساعدي المستر بايرد وكانت الحجرة مظلمة . وجلست أنا في الحجرة التي فيها الجهاز المستقبل وقد كانت في طبقة من البناء غير الطبقة التي فيها الحجرة الاولى . فرأينا على لوح الجهاز المستقبل رأس المساعد وجميع حركاته وسكناته . وكانت الصور التي رأيناها واضحة الوضوح كله . فاستعمال الاشعة التي تحت الأحمر في التلفاز يمكننا من ان نرى ما يدور تحت ستار الظلام عن بعد وهذا لم يحقق قبلاً على ما اعلم » . وبعد ذلك طبّق هذا المبدأ على مشاهدة أجسام بعيدة كسيارة تسير في الظلام وقد أطفئت أنوارها ، او جبل من جبال الهمد في البحر يحجبه ضباب كثيف

ولكن هذه الغرائب جميعاً ، على غرابتها وما لها من تأثير عظيم في العمران ، تتضاءل امام تبشير استنباط لاسلكي قديم جديد ، غرضه نقل الطاقة الكهربائية لاسلكياً من محطات رئيسية منتشرة على وجه الارض حيث يكون توليد الطاقة الكهربائية أرخص ما يكون نفقة

وأقل ما يكون جهداً فتلتقط أمواجها أجهزةٌ مستقلةٌ صنعت لذلك خاصة، وتحول طاقة محركة تستعمل في قضاء ما رُب الانسان في الصناعة وما أشبهه . وإذا اتقن تطبيق هذا المبدأ فقد تستغني المصانع حينئذٍ من مولّدات الطاقة الكهربائية والسيارات عن محركات الاحتراق الداخلي ، والمصابيح الكهربائية عن الاسلاك التي تصلها بمستودع الطاقة الكهربائية العمومي ، اذ يصبح في الوسع حينئذٍ ان تؤخذ الطاقة الكهربائية من الفضاء بعد اذاعتها من المحطات الخاصة أمواجاً موجّهةً على الغالب

قلنا ان نقل الطاقة الكهربائية نقلاً يستغني فيه عن اسلاك مبدأ قديم جديد . وما التخابط اللاسلكي الذي استخرج كلارك مكسويل معادلاته الرياضية الاساسية وأثبت هرتز مبدأه بالنجربة وأفرغه مركوبي ومن عاصره وتلاه في هذا القالب ، الذي يحمل الينا كل ساعة من ساعات النهار والليل أصواتاً وأنغاماً من أقصى أقاصي الأرض ، سوى ضرب من نقل الطاقة الكهربائية . ولكن المقصود على وجه خاص بنقل الطاقة الكهربائية في هذا المقال ، انما هو نقل الطاقة التي تصلح لانهارة المصابيح وتحريك الآلات وما أشبهه . ولعلّ نقولا تسلا ، المستنبط الأميركي السري الاصل من أوائل الذي جرّبوا تحقيق هذا النقل . وقد وصفنا في مقتطف ديسمبر ١٨٩١ طرفاً من بحوثه فقلنا : « تمكن الأستاذ نقولا تسلا من تنويع الكهربائية وجعلها تخرق الجدران وتنير المصابيح وهي غير متصلة بها ولا يبعد اننا نتمكن عن قريب من ارسال الكهربائية من مكان الى آخر بدون أسلاك وبدون موصلات » . وفي مقتطف ابريل ١٨٩٢ قلنا : « ومن رأي الأستاذ تسلا انه يمكن توليد هذه الكهربائية فوق البيوت والمدن حتى اذا وجد فيها آنية زجاجية مفرغة من أكثر هوائها أنارت كما تنير المصابيح الكهربائية . فاذا حققت الاماني التي تعلق على هذا الرجل وغيره من الباحثين في هذا الموضوع انتقل الناس من حال الى حال في جميع أعمالهم وشؤونهم الصناعية والصحية والاجتماعية . . . ويعيش الانسان في جوٍّ مشحونٍ بالكهربائية فيستخدم ما شاء منها بلا تعب ولا مشقة »

كان ذلك قبل نصف قرنٍ من الزمان !

كان قبلاً كشفت الكهرباء وصلتها ببناء المادة وطبيعة الكهربائية ، وقبلما تمكن مركوبي من استخدام أمواج هرتز الكهربائية في نقل الاشارات التلغرافية ، وقبلما تمكن جمهور العلماء والباحثين من أمثال لودج ومركوبي وبرنلي وفلمنغ وده فورست وبايرد وغيرهم من استنباط الأنبوب المفرغ واتقان استعماله اسماً له خاطبات التلقونية اللاسلكية ونقل الصور الضوئية والمرئيات ذاتها . أما وقد تحقق كل هذا فهل يحقق كذلك ما أشار اليه تسلا قبل نصف قرن من الزمان ؟

في شهر يونيو سنة ١٩٢٧ أثبت الدكتور فيلبس توماس أحد المهندسين المنقطعين للبحث الكهربائي في شركة وستنهورس الأميركية، في خطبة خطبها امام جماعة من المهندسين الأميركيين الكهربائيين انه حقق بالتجريب مبدأ نقل الطاقة الكهربائية بغير اتصال سلكي، إذ أخذ بيده مصباحاً كهربياً غير متصل بسلك ما، ولكنه متصل بقضيب من النحاس طوله نحو متر والقضيب غير متصل بشيء، ووقف المحاضر على مسافة مترين من أنبوب مفرغ فلما حركت الآلة المتصلة بالأنبوب المفرغ خرجت منه مجاري الطاقة الكهربائية، فالتقطها القضيب النحاسي بغير اتصال وأوصلها الى المصباح فأضاء

وروت مجلة العلم العام الأميركية في السنة نفسها ان تسلا الشيخ الفتي كان مكباً على وضع تصميم لبرج كهربائي ضخم يبنى على مقربة من شلالات نياغرا فتولد الطاقة الكهربائية هناك بفعل الماء المنحدرة بنفقة يسيرة، وتنطلق من البرج على الوجه الذي وصفه قبلاً. وكان شتيلتمز - وهو من أبرع الكهربائيين الأميركيين في هذا العصر - موقناً عند وفاته من خمس عشر سنة انه لا بد ان يجيء عصر يصبح فيه نقل الطاقة الكهربائية لاسلكياً من الأمور المألوفة

وكان الرأي ان طبقات الهواء العليا هي أصلح موصل لأمواج الطاقة الكهربائية لأن الهواء في هذه الطبقات لطيف فلا تفقد الأمواج كثيراً من قوتها في اختراقه كما يحدث عندما تخترق الهواء قرب سطح الأرض وهذا القول هو الباعث على اقتراح المهندس الانكليزي هيو بلرد ان تبنى أبراج ضخمة على قن الجبال الشاهقة كقنة جبل ماكنلي في الاسكا وجبل هوتني في كاليفورنيا ومون بلان في جبال الألب الفرنسية وغيرها في مختلف البلدان فتداع منها الطاقة الكهربائية أمواجاً خفية فيلتقطها المرء متى شاء. واقترح بلرد كذلك ان يبنى برجان من هذا القبيل أحدهما على مقربة من القطب الشمالي والآخر على مقربة من القطب الجنوبي لأن طبقة الهواء اللطيف هناك أقرب الى سطح الأرض منها في المناطق الاستوائية والمعتدلة. وقد أثبتت رحلات الرواد الى الأصقاع المتجمدة ان في أراضيها كثيراً من الفحم وبعض النفط ولا تستطاع الاستفادة منهما لأن استخراج الفحم والنفط ونقلهما الى البلدان الغامرة كثير النفقات فيحسن ان تنشأ هناك منشآت لتوليد الطاقة الكهربائية باستعمال الفحم والنفط وقوداً. ولا يخفى ان المنطقة التي تحف بالقطب الجنوبي قارة كبيرة يغطيها الجمد. فانشاء المصانع لتوليد الطاقة والابراج لأذاعتها أمواجاً في الفضاء مستطاع على ما فيه من مشقة. ولكن المنطقة حول القطب الشمالي ماء تعلوه طبقة من الجمد الكثيف ولذلك يغلب الظن أن اقتراح بلرد كان يشمل أقرب اليابسة الى منطقة القطب الشمالي لا المنطقة التي تحف بالقطب الشمالي نفسه

ويذهب الدكتور توماس صاحب تجربة الصباح - التي تقدم ذكرها - إلى أن الاعتماد في نقل الطاقة الكهربائية نقلاً لاسلكياً يجب أن يكون على الأمواج الكهربائية القصيرة أي العالية التذبذب وفائتة أن يتمكن من امتنباط آلة تولد أمواجاً لاسلكية قصيرة جداً ثم يوجهها في شعاعة - أو أكثر - سمعتها أربع بوصات بعد ما يجمعها ويعكسها عن مرآة معدنية مقعرة على نحو ما يفعل الآن في « الراديو الموجه ». فإذا تم له ذلك أنشأ على سبيل التجريب العملي في بلدة ما بضعة أبراج ترسل تيارات أمواجها في جميع الأنحاء فتتقاطع النبضات ويصبح الجو حافلاً بالطاقة الكهربائية فتستطيع ربة البيت أن تستعمل جهازاً يقابل القضيب النحاسي الذي استعمله الدكتور توماس في تجربته ليستمد به الطاقة من الفضاء فتطبخ بها أو تكوي بها أو تنير بها

كان هذا من خمس عشرة سنة

أما الآن فانظر ما يقوله الدكتور أدلست كالديويل محرر مجلة « الراديو اليوم » يبدو الآن من المحتمل نقل مقادير كبيرة من الطاقة الكهربائية في الهواء بغير أسلاك وبواسطة تيارات موجهة من الأمواج الكهربائية. وقد اخترعت أساليب جديدة وصنعت أنابيب جديدة - كالرومباترون والكلسترون - تمكننا من نقل طاقة كهربائية في الفضاء قوتها قوة حصان واحد

والمتفائلون بهذا النوع من التقدم الكهربائي يتصورون محطة توليد الطاقة الكهربائية قائمة قرب شلال أو أمام مدخل منجم فحم، حيث تكون الطاقة اللازمة لتوليد الكهرباء رخيصة، وهذه المحطة الرئيسية تتصل بالمحطات الفرعية عليها في مواقع شتى بشعاعات من الأمواج الكهربائية. فتلتقط المحطات الفرعية الطاقة من الهواء وتوزعها على المدن والقرى في منطقتها (لم يقل الكاتب هل يكون التوزيع من المحطات الفرعية بأسلاك أو بغير أسلاك). ومن أغرب الآراء التي أوردت في هذا الصدد رأي العالم دايكس الذي كان مديراً لمصنع وستنهورس في بتسبرج الشرقية. قال إنه لا يستغرب أن يحمل يوم توجّه فيه تيارات من الطاقة الكهربائية بين مدينتي نيويورك وبتسبرج وتأخذ منها الطائرات وهي طائرة ما تحتاج إليه من الطاقة اللازمة لتحريكها

ومهما يكن من أمر فإننا لم نتمكن حتى الآن من نقل مقادير كبيرة من الطاقة اللاسلكية. ولكن التجارب التي جرت خلال السنوات الأخيرة بأشعة الأمواج القصيرة أثبتت أنه في الوسع نقل قدر من الطاقة الكهربائية قوته ربع حصان مسافة مائتي قدم إلى ثلاثمائة قدم ثم التقاطها في الطرف الآخر واستعمالها في تحريك محرك صغير لأضاءة مصباح أو تحريك آلات صغيرة

وفي أوائل سنة ١٩٤١ اجتمع فريق من العلماء الأميركيين ومهندسي شركة وستنهورس وجربوا التجارب بجهاز جديد يدعى « كليسترون » Klystron وهو أنبوب جديد يولد طاقة كهربية في شكل أمواج قصيرة . ولكي يثبتوا ان « الكليسترون » يطلق الطاقة في الفضاء في شكل صالح للاستعمال ، طلب الى كل من حضر الاجتماع ان يرفع باحدى يديه مصباحاً كهربياً كالمصباح الذي يضاهى بطارية جافة ونستعمله في الظلام . وكانت هذه المصابيح غير متصلة ببطارية ما ولكن ربطت بها أسلاك هوائية قصيرة . فلما أطلق جهاز الكليسترون الطاقة المولدة فيه ، الموجهة في شعاع مخروطي الشكل ، أنارت جميع المصابيح كأنها كانت متصلة بسلك كهربى او بطارية

ومن غرائب هذا الجهاز الجديد - الكليسترون - انه يصلح لأغراض كهربية شتى . فهو يولد أشعة مينية قوية . ويصلح لتوليد حرارة في أجسام مرضى يجهدهم العلاج بالحرارة الكهربائية . ومن أسرارهِ العجيبة انه يعين المهندسين الكهربيين على زيادة عدد الرسائل التلقونية المرسلة بسلك واحد . ومن وجوه استعماله ان يكون معاوناً للملاح الجوي إذ يستطيع ان يتبين بهذا الجهاز ارتفاع الطائرة عن الارض او في منزلة ضوء كشاف - ولكنه ضوء لا يرى - يستطلع السماوات ويكشف طائرات الأعداء فيها . وهذا الاستعمال هو اساس النظام المتبع في بريطانيا لكشف الطائرة المغيرة قبل وصولها

صنع الكليسترون أولاً في معامل جامعة ستانفورد بكاليفورنيا من نحو ستين وقد تمكن المهندسون الكهربيون من تصغير حجمه بغير ان تنقص الطاقة الكهربائية التي يولدها . وهو يطلق تيارات من الطاقة الكهربائية بتفريق الكهرباء المناسبة في تيار كهربى ، ثم جمعها طوائف طوائف وتحويل طاقتها الى ذبذبات عالية التردد او امواج قصيرة ، هي اقصر عشرة اضعاف من اقصر امواج الراديو المستعملة الآن

وقد كان الاستاذ هانسن الذي صنع هذا الجهاز معنياً بصنع جهاز غرضه تهشيم الذرة عندما عرضت عليه فكرة الكليسترون من شاين شقيقين من امرة « كلسترا » فتعاون معهما باذلاً علمه وخبرته . ودعى الجهاز الاول الذي صنع « رومباترون » نسبة الى رقصة « الرومبا » لأن الامواج المتولدة تتردد تردداً سريعاً بين قطبين قبل انطلاقها في الجو ، وحركتها المترددة تشبه حركة سيقان الراقصين رقصة « الرومبا »

وغني عن البيان ان كل محطة اذاعة لاسلكية هي في الواقع محطة تنشر في الجو طاقة كهربية . والامواج التي تحمل في طياتها امواج الصوت من المتحدثين والمنشدين انما هي امواج طاقة

كهربية تؤثر في الاجهزة اللاقطة حيث تتحول الأمواج اللاسلكية امواج صوتٍ مسموع . ولكن مقدار ما يتلقاه الجهاز اللاقط من الطاقة يسير جداً ولا سيما اذا كانت المسافة بين المحطة المذيعة والجهاز اللاقط مسافة شاسعة . ولكن اذا كانت قوة المحطة المذيعة خمسين كيلو واط وكان احد الناس في نطاق لا يبعد ميلاً عن المحطة ففي وسعه ان يستمد من امواجها المذاعة طاقة كهربية لا بأس بها . وقد ثبت بالامتحان ان رفع اسلاك هوائية على سطوح المنازل في هذا النطاق وتوصيلها بأسلاك الى المصابيح ، يمكن اصحاب البيوت القريبة من محطة « الراديو » القوية ، من اضاءة مصابيحهم بما تلتقطه الاسلاك الهوائية من طاقة مشعة في الفضاء . ولكن مقدار التيار يكون متغيراً ، ولذلك فضاء المصباح يقوى ويضعف وفقاً لقوة التيار وضعفه

وكل هذا يدل على أن يوم نقل الطاقة بغير سلك ليس ببعيد وقد نشهد يوماً ما الطاقة الكهربائية المولدة من شلال نياغرا منقولة على أجنحة الأثير الى حيث تستعمل ، بدلاً من نقلها بأسلاك من نحاس

وقد يذكر بعض القراء ان مركوني جرب في ٢٧ مارس سنة ١٩٣٠ تجربة استوقفت أنظار العالم فحسبها الناس تحقيقاً لنقل الطاقة الكهربائية مسافة ألوف من الأميال . ذلك بأنه ضغط زراً في يخته « اللترا » الراسي في مياه جنوى فأضاء الفين وخمسمائة مصباح كهربى في معرضٍ نظمته مدينة سدني الاسترالية . وقد ذهب اخیال بعض الصحافيين حينئذ الى القول بأن مركوني استنبط استنباطاً جديداً يمكنه من ارسال الطاقة الكهربائية الوفاً من الأميال فتنير المصابيح وتسير المركبات الكهربائية وتحرك الآلات وما أشبه

والواقع — وقد نشرنا ذلك في المقتطف في حينه — ان عمل مركوني لم يكن من قبيل نقل الطاقة الكهربائية الذي جعلناه مدار هذا المقال ، بل كان تدبيراً بارعاً لتطبيق مبدأ معروف . ذلك بأن المصابيح في سدني ، كانت معدة للاضاءة اذا أدير مفتاح واحد معين . وضاءها تكون بطاقة كهربية تصلها بأسلاك عادية . وكان المفتاح متصلاً بجهاز خاص يتأثر بتيار كهربى أو أمواج لاسلكية من قوة معينة أو طول معين . وكل ما فعله مركوني عند ضغط الزر ان أرسل أمواجاً لاسلكية متفق عليها فأثرت في الجهاز المعد للتأثر بها فتحرك المفتاح فأضيئت المصابيح . وهذا يختلف كل الاختلاف عن اضاءتها بغير ان تكون متصلة بأسلاك تمدها بالطاقة اللازمة

علم النفس (١)

ونفسية الافراد والشعوب

للدكتور ابراهيم ناجي

سيداتي سادتي : لا شك ان علم النفس (السيكولوجيا) قد بلغ درجة عالية من الكمال حتى صار علماً قائماً بذاته . وحتى تغلغل في كل شيء في هذا الوجود . وحتى امتزج بالعلوم الأخرى واندمج فيها فصار يشق على الانسان ان يفصل أحد هذه العلوم عن الآخر . ولا بد لدارس علم النفس ان يكون ماهياً بالفلسفة . ولا بد ان يكون ماهياً بعلم وظائف الاعضاء والتشريح . وعندما يأخذ في درس المذاهب المتعددة ويتعرض للمدارس المتنوعة ، يجد أنه لا بد له من الامام بالكيمياء والطبيعة ، ثم يجد انه عندما يتصدى لدراسة علم النفس الاجتماعي ، لا بد له ان يعلم بالمؤثرات الجغرافية ، ثم عندما يأخذ في استعراض تطور العقل الانساني استعراضاً تاريخياً يجب ان يعلم بحوادث التاريخ الجسام... وهكذا أيها السادة ان الذي يأخذ على عاتقه دراسة علم النفس دراسة كاملة ، يجد نفسه بعد قليل دائرة معارف تامة ما دام يريد ان يحيط بكل ما يتعلق بالنفس الانسانية ويفهم أسرارها

أضرب مثلاً لحضراتكم — على سبيل التفككة — أسماء بعض المراجع التي استشرت في محاضرتي الليلة : من أهم الكتب التي اطلعت عليها كتاب « السيكولوجيا والمسائل الحديثة » وهو كتاب اشترك في تأليفه جماعة من العلماء جميعهم أطباء . وطابع الكتاب يعتذر اعتذاراً لطيفاً في مقدمته ، إذ يقول إنه من العجيب ان يجتمع أطباء ليكتبوا في التعليم والسياسة والفن... وليس في الكتاب شيء طبي بتاتاً... ولقد راعيتي مقالة الدكتور امانويل ميللر عن الفن . فان أكبر فنان لا يستطيع ان يجاري هذا الطبيب في سعة فهمه ، وأكبر أديب يقف عند أسلوبه حائراً... وقد تكلم الدكتور فلوجل عن الزواج في هذا الكتاب ، فطرقة من أبواب اجتماعية بحتة ولم يتعرض له من الناحية الطبية إلا قليلاً

وتناول الدكتور كريتون ميللر مسألة التعليم ، فتناولها تناولاً يعجز أكبر المربين . وقد تناول كل شيء يصح ان يشمله البحث ، حتى الكلام عن مصر لم يفتنه

ومن الكتب الهامة التي أفادتني كثيراً كتاب اولاف ستايلدون وعنوانه « الفلسفة والحياة ». وهو عرض عجيب لعلم النفس والفلسفة والاجتماع والاخلاق ، والمؤلف ينتقل بالقارئ من هذا العلم الى ذاك انتقالاً يعزّز ما قلته لحضراتكم أولاً ، وهو ان العلوم متشابهة متصلة الحلقات

سادتي : ما هو علم النفس ؟ تعريفه الصحيح « انه كيفية السلوك الانساني »
Study of human behaviour . ومعنى هذا ان نعرف كيف تفكر وكيف نحس وكيف نكره ، وبفعل أي الدوافع نتحرك لنعمل ، وهل نحن آليون نتحرك تحرك (الزبرك) أم وراء آليتنا قوة محرّكة وروح خفية ؟ ثم أهم من كل ذلك ، هل نحن أبناء الوسط أم الوسط نحن الذين نصنعه ؟ إن للوسط The environment منزلة عظيمة الشأن . واختلاف الآراء في أي الشئيين أصوب ، وضع الفرد كخالق للوسط ، او الوسط ككون للفرد وبالغ به ما بلغ اليوم — إن اختلاف الآراء في هذه النقطة هو سرّ هذا النضال القائم اليوم في العالم . سير الحروب والويلات والأهوال . فان الذين يقومون بالحركات الاجتماعية التاريخية ويشقون للناس الطرق ويسمون السبل ، وينشرون المذاهب ، لم يجيئوا الى الكون اعتباطاً ، ولم يتقدموا الصفوف عرضاً او مصادفةً . قد يحدث ان الضرورات أوجدتهم ، او الضنك الاجتماعي هو الذي قذف بهم الى الأمام ، او كما يقول « لند ولف » في كتابه « بعد الطوفان » — الحوادث الجسام التي تحفز الشعوب الى التفكير ، والويل للشعوب حين تفكر — لانها في نظامها العادي قليلاً ما تلجأ الى الفكر ... »

عندما تفكر الشعوب ، او يفكر أحد الذين اضطرتهم الحوادث الجسام للتفكير ينتمي في الحال الى إحدى المدرستين ، اللتين لا ثالث لهما . . . المدرسة الفردية ، او المدرسة الاجتماعية . المدرسة الأولى تدين بأن الفرد وحدة قائمة بذاتها ، كحبات الرمل ، كل حبة لها كيانه . . . ويتكوّن من حبات الرمل ذلك الكتيب الكبير . وأما المدرسة الثانية فتدين بأن المسألة ليست مسألة أفراد ، وانما مسألة « علاقات » ، وان الفرد ليس شيئاً قائماً بذاته ، بل جزء من كل ، كاليد في الجسم مثلاً ، هي تمثله ولكن لا تنفصل عنه ، وعلى ذلك يكون الافراد كالأمواج في العباب الكبير ، كل موجة لها كيانه وشكلها ، ولكنها مندمجة في الأخرى وفانية فيها ثم هي أخيراً فانية في المحيط الكبير

والواقع أيها السادة اننا لو استعرضنا الحركات الاجتماعية في الايام الأخيرة ، لوجدناها لا تخرج عن هذا . فهناك مدرسة Laissez faire التي تبيح الحرية للأفراد لينتج كل ما يريد وبقدر ما يشاء والرأي ان الفرد على هذا النمط سيسعى الى إسعاد نفسه ورخائها ، وسيؤدي

ذلك الى اسعاد المجموع . والمدرسة الثانية المدرسة المثالية ، ومنشؤها فلسفة كانت وهيكل وهي تؤكد ان المسألة كلها مسألة «علاقات» . ونحن في الحقيقة لانعرف حقيقة الشيء الصغير الذي يبدأ نواة للحلقة الكبرى ، وانما نعرف هاته الحلقة الكبرى ونحيط بها ونؤمن ، ولذلك فهي أهم من تلك النواة الصغيرة

اما المدرسة الاولى ، فهي المدرسة التي بنيت على حرية المغامرة والكسب Enterprise فأحدث رخاءاً اقتصادياً لا شك فيه ، ولكن التفاوت بين قدرة الافراد على المغامرة المرغوبة أدى الى تكديس البؤس والشقاء ، والى وجود عاطلين لا يملكون القدرة على المغامرة اما المدرسة المثالية ، فهي المدرسة التي كما قلت تدين بان الفرد للجماعة ، وانه ليس له الا ان يكون للجماعة ، فالجماعة تمثل على الارض ذلك الشكل الذي ينتهي اليه كل شيء . ولكنه حدث ان قام قوم يعدون انفسهم روح هذه الجماعة والتكاملين بلسانها ، والواقع ان الدافع لقيام هؤلاء الناس شيئان :

اولاً — ان النظرية التي تفرض ان الفرد ليس له قيمة الا بانتسابه الى المجموع ، وليس له رأي الا رأي المجموع الذي تتحكم فيه عوامل طويلة عريقة من المؤثرات القديمة والحاضرة ، وهي تشكل هذا الفرد او ذاك — اي ان عوامل البيئة والوسط وحوادث الاجيال هي التي تصب هذا الفرد او ذاك في «ال قالب» الذي تريده — هذه النظرية بثت في الافراد التواكل وضعف الثقة بذاتهم وأفضت في الوقت ذاته الى قيام نفر يفهمون هاته الحقائق ويستغلونها استغلالاً ضاراً أقف هنا قليلاً لأتسكك عن نقطة هامة جداً . ثم أعود الى مابدأت ... قلت ان نظرية المدرسة المثالية تفرض ان الانسان جزء من كل ، والنظريات التي تنبى العقل الانساني وكيف يعمل ، مشابهة لما ذكرنا . فهناك نظرية تفرض ان العقل «وحدات» او ذرات وتسمى النظرية « الذرية » ... اي ان قوات العقل وحدات متجاورة ، تقوم كل بواجبها مع اتصالها بالآخرى فيما يتعلق بوظيفتها . والنظرية الثانية وهي الصحيحة هي النظرية الكيميائية او الديناميكية ، وهي التي تقول ان العقل دوافع متداخلة متشاكله متصلة متشابكة . والعقل على هذه النظرية وحدة متماسكة فنحن مثلاً لا نحسن السمع بغير النظر ولا النظر بغير السمع ... والطفل لا يميز بين احساس وآخر بل ان الشيء عنده «منظور مشموم ماموس» ! فالعقل من هذه الناحية « كل » . وهنا ترون التشابه بين نظام العقل والنظام المثالي في الاجتماع غير ان النظام «الديناميكي» للعقل يفسر لنا جميع الظواهر العقلية التي تسير الناس والشعوب ان هذا النظام المنسجم المتصل المتشابك ، يفسر لنا قبول العقول للايحاء Suggestion فان الايحاء هو الصفة التي يتغلغل التأثير عن طريقها في العقل ويسيطر عليه كوحدة كاملة اذ

لو كان العقل أجزاء منفصلة متجاورة لما أمكن ذلك الايحاء ، ولما أمكن أن نفسر كيف يحدث الاستدكار . . . وقريب من صفة الايحاء ، صفة المشابهة أو الحلول « identification » والايحاء والتشابه لهما شأن أي شأن في حياتنا المنزلية والاجتماعية . ويفسر ان كثيراً من النظريات التي كانت الى عهد قريب مكسوة بالتزييف والتضليل أما في حياتنا المنزلية فان الطفل يحاول أن يشابه والديه أو يحل محلهم ، أو يكون « ها » وفي حياتنا الاجتماعية يحاول الفرد أن يشابه زعيمه أو سيده أو يكون « هو » . وهذه الصفة صفة المشابهة أو محاولة أن يكون « هو » على أمها في الطفولة وهي صفة يستغلها الزعماء الذين يرغبون الامم لأغراض سياسية أي يرغبون أجيالاً مطواعة . فانهم يتناولون الاطفال في اعمارهم الغضة ، فيصنعون بهم ما يشاءون باستغلال الصفتين المتشابهتين ، الايحاء والمشابهة . اما بالايحاء ، فالطفل سيقبل كل ما يوحى به اليه . أما بالمشابهة فهو سيعاود ان « يتقمص » روح والده أو استاذة أو زعيمه . وبعض الامم استغلت هذا الأمر في تعليم ابنائها استغلالاً شديداً فصار التاريخ يدرس على طريقة خاصة والجغرافيا على لون بعينه وهكذا أما عندما يكبر الناس فهم لا يزالون قابليين للايحاء والمشابهة ، ولكن بقدر ضعيف ، فاذا أريد تنشئة جيل من الذين اجتازوا عهد الايحاء والمشابهة ، صعب ذلك جداً ، وأخذ مذهبو الجليل يستعملون الطرق القاسية لا كراه الناس على قبول ما يريدون . فيحدث لهم ما يسمى Mass neurosi أي الاضطراب العصبي في الجماعات ! أي أن أعصابهم تضطرب وتتقلقل وتضع لديهم وحدة الغرض ، وينمحي من أمام عينهم معنى الوجود . ان هذا تماماً هو ما يحدث للمريض بالاضطراب العصبي . انه يكون دائماً محيراً ، قلقاً مفككاً ... أي يعود طفلاً ... وعندما تعود الشعوب طفلة ، أي عندما لا تعرف لها معنى سامياً تلتهمسه ، تبحت عن تلم قيادها اليه . انها تبحت عنه مكرهة ، وهو يأتي اليها مختاراً ... وهذا هو السبب الثاني الذي أدنى الى قيام السادة الذين ذكرتهم . ان كثيراً مما يباهي به انصار نظرية « الجنس » ويفتخرون به على أنه « بطولة » موروثة او شجاعة اشتهر بها هذا الجنس او ذاك ، هو وهم كاذب ... حقيقة ان الوراثة لا شك في أمرها ، ولكن شأنها قليل في التربية ، في المنازل او في الامم فان الأم حين تجدد طفلها على صفة ما تقول — أبوه كان كده وجده كان كده ! —

ولكن الحقيقة ان هذه هي نظرية المشابهة identification التي أشرت اليها ومثل ذلك يقال في الأمم . فهذه الامم التي تفخر بجنسها ، وتقول نحن ابناء البطولة ونحن ونحن ، انما تخطيء فهم ما قد حدث تماماً . ولذلك يتحيزون للجنس والقومية ويدعون ان هذا الجنس أرقى من ذاك . ان البحوث سليجمان وجنسبرج خرجت للوجود ببراهين عجيبة .

فقد أجرى هذان العالمان أبحاثاً على جماجم الاجناس المختلفة ، وأجروا تجارب على الذكاء ، وتجارب على الأمزجة Temperament فلم ينكروا ان تركيب الأنحاح يختلف حقاً ، وعلى ذلك تختلف قوى الذكاء والادراك ، ولكن لا يصح ان يقال على الاطلاق ان هذا الشعب أذكى من ذاك ، فان المسألة ان تلافيف المخ في نموها سبقت في أمكنة وتخلقت في أخرى اما عن مسألة الأمزجة فقد أثبتنا ان العالم ينقسم الى قسمين introvert و extravert وتبيننا بأدلة ناصعة ان هذا ناشئ من التكوين الفيزيولوجي ، كمسألة الغدد والهرمونات ، واثبتنا بعد ذلك ان هذه الصفات الجنسية ، حقيقة قد تكون مميزة لجنس عن آخر ، ولكن لا يمكن اطلاق ذلك على مداه ، ثم انهما بينا ان مميزات الامة الواحدة يمكن ان تتغير تماماً في جيل واحد ، وذكرنا على سبيل التفكهة ما كان يقال عن الانكيز في القرن السادس عشر وعن فرنسا في السابع عشر من نفس كتابهم فقد كانوا يصفون اهل ذلك العهد وصفاً متناهيًا في الزرية . وهذا لا يمكن ان يقال عن الامم الاخرى . فتغيرت الأوضاع الآن . وصار السيد عبداً والعبد سيداً . أما عن نظرية المشابهة ، فتطبيقها في حياتنا العائلية عند ما نكبر ، هام جداً في الزواج . فان الناس في الواقع لا يعرفون لماذا يتزوجون ولماذا يخفون في الزواج يقول فلوجل ان الناس يتزوجون لغير الامور التي يعتقدونها كل شخص . فلا للتناسل ، ولا للذة الجنسية ، ولا لشيء من هذا . وإلا فاسر فرحة الناس بالزواج ، ما سر المواكب التي تزف بها العرائس ، وما سر الرهبة والفرح في نفوس الناس جميعاً عند ما يشاهدون عرساً ؟ يقول فلوجل إن الاطفال في دورنا ، يعيشون في عالم من النواهي والزواج يرون بأعينهم الأب والأم متمعين بقسط كبير من الحرية وعندهما يكبر الاطفال يرون الحرية الجنسية التي يتمتع بها الوالدان . فيتمنى الاطفال لو كانوا هم والديهم ، ليكون عندهم القدرة على الحصول على الأشياء بسهولة ، وليكون عندهم الحرية الجنسية المنشودة أي يريدون أن يكونوا « هم » . ويظل هذا الخيال الابوي ملازماً لنا فيما بعد ، وهو ما نسميه المركب الابوي Paternal Complex . فعند ما نحب : إما أن نحب وفي خيالنا ذلك المركب الابوي ، وإما أن نحب أنفسنا أو من يشابه أنفسنا ، أو من يكل أنفسنا ولكننا لا نستطيع أن نفصل حب أنفسنا عن ذلك المركب الابوي . وقد ينفصل عند بعض الناس تماماً . فاما الذين يكون عندهم مزيج من المركب الابوي مع الحب « الترجمي » أي حب الذات فغالباً يفلحون في الزواج . وأما الذين عندهم المركب الابوي فقط ، فغالباً لا يملكون في الزواج غير حاسة العطف والحنان ولذلك يخفون كأزواج . كذلك يخفق الذي يبحث عن رفيق لا يشابه نفسه ولا يكملها بل يختلف عنها اختلافاً تاماً

العلامة اينشتين يبسط رأيه في

العلم الحديث

والشعور الديني الكوني

[وجه نيوليون الى لابلاس — أعظم فلكي عصره ومؤلف كتاب «الميكانيكا السماوية» — سؤالاً قال فيه إنه لم يقع في مؤلفات لابلاس على ذكر «الله» فما سبب ذلك ؟ فكان رد لابلاس (لست بحاجة يا مولاي الى مثل هذا الفرض) . في هذا الجواب يتلخص وصف موقف العلماء في القرنين الثامن عشر والتاسع من سر الكون، وهو موقف غلبت عليه صورة ميكانيكية ركنها الايمان بان النواميس الطبيعية كافية لتفسير كل ما في الكون ومردّها الى القول بان كل حادث في الكون سبق تحديده بحسب هذه النواميس . ولكن المذاهب الجبرية والمادية وما اليها صدمت صدمتها الاولى في مستهل هذا القرن عندما أخرج بلانك نظرية «المقدار او الكونتم» ولا نفالي اذا قلنا ان في دوائر العلوم الطبيعية والفلكية والرياضية في القرن العشرين انقلاباً قد لا يقل أثراً في مستقبل الثقافة البشرية عن أثر هذه الحرب العالمية الطاحنة وما ينطوي في ثناياها من بنور العالم الجديد . ولذلك صدرنا الجزء الاول من المجلد المائة من المتطف برأي عالم أهركي كبير في ناحية من موضوع العلم والدين ، ونختم باب المقالات برأي العلامة اينشتين ، وسنوالى نشر ما يتاح لنا من هذا القليل — المحرراً

كلّ ما يأتيه الانسان من عمل وتفكير انما يأتيه اشباعاً لحاجات يحسّ بها او فراراً من الألم . ولا بدّ من تذكر هذا القول اذا حاولنا ان نستقصي النهضة الروحية او العقلية وكيف تنشأ وتترعرع . لان الشعور والتوق هما القوتان المحركتان للسعي الانساني والانتاج الانساني، في كل شكل من الاشكال يتجلى هذا السعي او يتجسم ذلك الانتاج فما هو الشعور وما هي الحاجات التي حملت الانسان على التفكير تفكيراً دينياً أو على الايمان ، بأوسع معاني الايمان والتفكير الديني . فنحن اذا تأملنا ذلك وجدنا ان عواطف مختلفة كانت مهبطاً للتفكير الديني وللاختبار الروحي

ففي الشعوب البدائية كان الخوف اول حافز للانسان على الشعور الديني — الخوف من الجوع والخوف من الحيوانات الضارية والخوف من المرض والموت . ولما كان فهم العلاقات السببية الكائنة بين مظاهر الطبيعة وعللها محصوراً في نطاق ضيق ، كانت النفس البشرية تخلق كائناتاً شبيهة بها الى حدّ ما، ترجع اليه جميع الأفعال والاختبارات التي تبعث فيها شعور الخوف وتأمل ان تسترضي هذا الكائن بأعمال وتضحيات ، تثبت خبرة الشعب وتقاليده الموروثة، انها امور ترضيه او تكسر من حدة غضبه . هذا دين أدعوه دين الخوف

ثم يستقرّ هذا الدين بقيام طائفة من الكهنة تدّعي انها تتوسط بين الناس والكائنات

التي يخافونها وبذلك تقبض على زمام السلطة وتحلُّ من الشعب في أعلى مقام وكثيراً ما يجمع زعيم أو طاغية أو طبقة من الطبقات التي تستمدُّ قواها من مصادر ارضية ، بين منصب الكاهن ومنصب الحاكم الزمني . او قد تعقد محالفة بين طائفة الكهنة وطائفة الحكام للمحافظة على مصلحة الدولة والامة حسبما يرونها

وثمة مصدر آخر لنشوء العقيدة الدينية في الشعور الاجتماعي وما يتصل به من ثواب وعقاب . فالآباء والامهات وجميع زعماء الشعوب بشر غير معصومين عن الخطأ ولا بمعزل عن الموت . فالتوق الى الاسترشاد والمحبة والمعاونة يخلق في النفس صورة الله الالدية والاجتماعية . هذا هو ربُّ العناية الذي يحمي ويحكم ويثيب ويعاقب . هذا هو الاله الذي يحبُّ ابناؤه ويمهد السبيل لخلودهم . هو المعزي في الألم والبؤس والجوى المكتوم . هو الحافظ لأرواح الموتى . هذه صورة الله الاجتماعية . ومن اليسير ان يتبع الكاتب تطوُّر فكرة الله من ديانة الخوف الى ديانة الاجتماع او ديانة الآداب في كتابات اليهود المقدسة .

وديانات أكثر الامم المتحضرة وخاصة امم الشرق تغلب عليها صبغة الديانة الالدية ومن أهم وجوه التحوُّل في الأمم القديمة هو تحول الفكرة الدينية فيها من ديانة خوف الى ديانة آداب . ويجب ألا نخطئ بحسبان ديانات الأقدمين ديانات خوف مجرد وديانات المتحضرين ديانات آداب مجردة . لان الديانات الاولى والثانية انما هي مزيج ، يغلب على الاولى عنصر الخوف ويغلب على الثانية عنصر أدب النفس . وفي كليهما يتخذ الله صورة انسان ولكن بعض الافراد الممتازين في الامم التي بلغت مرتبة سامية من الحضارة يرتفعون بفكرتهم الدينية فوق هاتين المرتبتين وبهم نسمو الى مرتبة ثالثة من الاختبار الديني أدعوه «الشعور الديني الكوني» . وليس باليسير تفسيره لمن لا يحسُّ به . لانه لا يشتمل على صورة انسانية لله . ولكن من يحسُّ به يدرك بطلان الرغبات الزائلة والاغراض الانسانية الصغيرة ونبل النظام العجيب الذي يكشف عنه في عالم الطبيعة وعالم الفكر . ويشعر ان مصير الانسان انما هو قيد له لذلك يحاول ان يختبر الكيان الكوني كأنه وحدة حافلة بالمعنى

ودلائل هذه الفكرة الكونية تبدو لنا في عهدي ديانة الخوف وديانة الاجتماع . ففي مزاهير داود وفي رسائل الانبياء تقع له على اثر جلي . وعنصر هذه الفكرة الكونية أقوى في البوذية منه في المذاهب الدينية الاخرى على ما اثبتته لنا رسائل شوبنهاور

وعباقره الدين كانوا يمتازون في جميع العصور بهذا الادراك الديني الكوني الذي لا يعترف باله مصنوع في صورة انسان ولا بتحكم رجاله

وعليه يتعذر عليك ان تجد كنيسة تقوم معتقداتها الاساسية على هذه النظرة الكونية

الى الدين . فقد يتفق لنا أن نجد بين هراطقة العصور رجالاً كانت تدفعهم أسمى البواعث الدينية . فكان بعضهم في نظر معاصريهم ملحداً وكان البعض الآخر من الأبرار القديسين وإذا نظرنا الى ديموقريطس والقديس فرنسيس الاسيزي وسبينوزا من هذه الناحية رأيناهم في صفٍّ واحد . فكيف نستطيع أن ننقل هذا الشعور الديني من انسان اذا كان لا يمكننا من تصور الله في صورة ما ولا يأذن بطبيعته في بناء فقه ديني عليه ؟ وعندي أن اسمى وظائف الفن والعلم هي أن تثير هذا الشعور وتغذيه وتحفظه متقدماً في صدور الناس المستعدين له ومن هنا نصل الى نظر جديد في علاقة العلم بالدين يختلف كل الاختلاف عن النظر المألوف . فدرس التاريخ يحملنا على الاعتقاد بأن العلم والدين ، خصمان يتعذر التوفيق بينهما وذلك لسبب معقول جداً . لأن انساناً مشبعاً بروح الناموس الطبيعي في كل حادثة تحدث ويسلم بفكرة وجود علة لكل معلول ، لا يستطيع أن يسلم قط بفكرة كائن يعترض تسلسل الحوادث تسلسلاً طبيعياً . فلا ديانة اخوف ولا ديانة الاجتماع والآداب تستطيع أن تحل في تفكيره وشعوره المقام الأسمى .

لذلك رمي العلم خطأ ، بهدم آداب الناس لأن السلوك الأدبي مبني على العطف والتعذيب والعلاقات الاجتماعية ، ولا يحتاج الى تأييد ما من العقيدة الدينية . ما أسوأ مصير الانسان لو كنا نحتاج الى اله يرهبه أو اله يثيبه على كل ما يفعل في ارغامه على حفظ النظام وحسن السلوك ! فمن الطبيعي المعقول ان تقدم بعض الكنائس على محاربة العلم واضطهاد مؤيديه . ولكني اثبت هنا ان « الشعور الديني الكوني » هو أقوى وأنبى باعث على البحث العلمي . وليس باليسير على من لا يقدر نصيب الباحثين في فروع العلم ، وما يقتضيه الابداع العلمي من الدأب والتضحية والبذل في جميع نواحيه ، وبعده مرمى الباحث عن الربح المادي ، ان يدرك قوة البواعث التي تقهر الباحثين على كل هذا . أي ايمان ثابت في انتظام الكون وأي توق عظيم الى الفوز بامحة من لمحات الحقيقة ، حدوا بكبلر ونيوتن الى الكشف عن نظام الافلاك في خلال سنين متطاولة من العمل المضني الممل !

اما الذين لا يعرفون من العلم — البحث العلمي — الا مظاهره التطبيقية فكثيراً ما يخطئون فهم الحالة العقلية في رجال ، كان يحفُّ بهم معاصرون هازئون ساخرون ولكنهم ثبتوا على ما هم فيه فشقوا طريقاً للارواح المؤاخية لهم في جميع البلدان وعلى مدى جميع العصور . ولا يستطيع أن يتصور مصدر الوحي الذي يدفع بهؤلاء الرجال الى الثبات والتضحية والمثابرة رغم كل إخفاق وكل سخرية ، الا من وقفوا حياتهم على هذه الاغراض النبيلة . هو « الشعور الديني الكوني » الذي يحركهم ويمنحهم القوة !

بَابُ الْإِخْبَارِ الْعِلْمِيِّ

رصاصه في القلب

مدى اربع وعشرين سنة

هذه قصة لا يكاد يقبلها العقل لو لم يكن راويها الدكتور ترنر استاذ الجراحة في جامعة لندن . وخلصتها ان جندياً انكليزياً اصيب في أوائل سنة ١٩١٧ برصاصة رشاش الماني على مسافة خمسمائة ياردة . فاخترت الرصاصة ملابسه جميعاً وكان في جيبه الايسر دفتر ورزمة من الرسائل فاخترقتهما كذلك . وبدا من خصه الأول ان لا مفر من اصابة القلب بها مع ان نبض الرجل وحرارته كانا طبيعيين . ففحص بالشعة السينية ، فاذا قاعدة الرصاصة مدفونة في عضل جدار القلب ورأسها متحرك مع الدم المندفع داخله . وكانت حالة الرجل طبيعية ، فأبى الاجازة المرضية التي منحها . ولكن المايجر جورج جراي ترنر احد اطباء الجيش خشي على حياة المصاب لأن الرصاصة قد تخرج من عضل القلب فتوقف عمله او تحدث جلطة فتفني الى وفاته . فقرر ان يعمل له عملية جراحية لاستخراج الرصاصة

وبعد انقضاء سنة اسابيع على الاصابة طرح الرجل على مائدة العمليات بعد تخديره ، وشق الصدر وقضى الجراح ساعة وثلاثة ارباع الساعة باحثاً منقباً عن الرصاصة . وخفق القلب في بدء العملية خفقاناً عنيفاً ثم خف

خفقانه العنيف وبقي في حالة طبيعية طوال العملية اذا استثنينا هنيهة توقف فيها تماماً عن الخفقان وبدا للجراح الموقع الذي اخترقت فيه الرصاصة جدار القلب ، ولكن العضل كان متصلاً فلم يكن في وسع الجراح ان يحسن بوجود الرصاصة هناك ، لأن العضل كان عند انقباضه صلباً كالخجر

ولم تكن فترة الاسترخاء القصيرة بين انقباض وانقباض كافية ليحس الجراح الرصاصة في خلالها فشك إيراً في القلب لاستكشافها ولكن «العضل كان صلباً فأحدث وخز الابر زففاً عابراً لا غير» . واخيراً اخذ الجراح القلب كله في يده متجسساً فتبين الرصاصة باللمس ولكنها كانت في موقع جعل استخراجها متعذراً ، فقرر ان يعيد القلب الى مكانه وان يحيط الشق . وقد تحمل الرجل العملية وشفي منها وبعد ثلاثة اسابيع غادر السرير وبعد خمسة اسابيع استطاع ان يمشي . وقد تزوج وتمكن من ان يلعب الجولف بغير ان يجهد نفسه

والرجل حي وهذه التفاصيل مأخوذة من فم الجراح المايجر ترنر وهو الان استاذ الجراحة في جامعة لندن

وبعد انقضاء سنة اسابيع على الاصابة طرح الرجل على مائدة العمليات بعد تخديره ، وشق الصدر وقضى الجراح ساعة وثلاثة ارباع الساعة باحثاً منقباً عن الرصاصة . وخفق القلب في بدء العملية خفقاناً عنيفاً ثم خف

عنصران خفيان

في طيوف اكليل الشمس والسدم

كشف الفلكي الأميركي يونغ خطاً في طيف اكليل الشمس ولم يجد ما يقابله على الارض فسماه كورنوم أي عنصر الاكليل (او اكليلوم اذا شئت). وظل هذان العنصران «نبوليوم وكورونوم» تحيط بهما غلالة من الخفاء والغموض اذ لم يوجد ما يقابلهما على سطح الارض. وكان رجال البحث الفلكي يهرعون الى مقابلة خطوط العناصر الجديدة المكشوفة على الارض بخطي هذين العنصرين المقرويين في السديم والاكليل، فلم يجدوا في جميع العناصر الجديدة التي كشفت على الارض ما يقابل خطيهما، كما تقابل خطا الهليوم في الشمس والارض. والرأي الآن ان خطي هذين العنصرين المقرويين ليسا خطي عنصرين على الاطلاق، بل هما خطان للاكسيجين وهو في حالتين خاصتين من التهيج الكبير في فعل الحرارة العالية

كل عنصر من العناصر الاثني والتسعين يطلق ضوءاً خاصاً به عند ما يحمل بحارته على التوهج، فاذا فحص هذا الضوء بالمطياف عرّف العنصر ما هو. وهذه طريقة من أحكم الطرق وأدقها في فحص العناصر في الشمس ودزاسة النجوم بوجه عام

ولا يخفى ان الفلكي الانكليزي السير نورمن لوكير وجد في سنة ١٨٦٨ خطاً في طيف الشمس لا يقابله خط عنصر معروف على سطح الارض، فدعا العنصر «هليوم» أي عنصر الشمس (شمسيوم اذا شئت) وبعد ذلك كشف الهليوم في بعض الغازات الأرضية وقبل ذلك بأربع سنوات وجد الفلكي الانكليزي السير وليم هجنز خطاً غريباً في طيف سديم بعيد، ولم يجد ما يقابله على الارض فسماه «نبوليوم» أي عنصر السديم (سديميوم اذا شئت). وفي سنة ١٨٦٩

العناصر في ماء البحر

ومما يدل على الثروة المعدنية المذابة في ماء البحر مقدار القضة فيه. فقد حسب الحاسبون الثقات ان فيه مقدار ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ ١٢٣٠٠ طن من القضة وهو يزيد نحو ٤٧ الف ضعف على كل القضة التي استخرجت من مناجم الارض في خلال الخمسة القرون الأخيرة

يدخل ثلاثون عنصراً في تركيب ماء البحر ولكن ما يوجد من هذه العناصر فيه يسير جداً لا يستطيع تبينه الا بالمطياف وبعضها لا يستطيع تبينه بالمطياف بل يفرض وجوده فرضاً، لأن آثاره توجد في أجسام الحيوانات والنباتات البحرية

آمال الشيب

اعادة السواد الى شعرهم الذي وخطه الشيب مدى شهرين . وكان عليهم ان يتناولوا كل يوم جرعة من هذه المادة مفرغة في قالب قرص أبيض كقرص الاسبيرين . وعند الباحثين انه اذا توسعا في تجاربهما وتحقق ما اسفرت عنه التجارب الأولى من نجاح فالشيب قد يصبح نادراً

والحمض پارا - امينو - بنزويك لا يوجد فقط في مواد الطعام التي تقدم ذكرها بل يصنع كذلك بالتركيب الكيميائي من مقطرات قطران الفحم الحجري ومشتقات النفط ويستعمل صبغاً . وهو رخيص الثمن لا يتجاوز ثمن الرطل منه خمسة قروش . وينتظر ان تصنع اقراص منه وتعرض للبيع متى وافقت « مصلحة الطعام والعقاقير » بالحكومة الاميركية على ذلك . وقد لا تحل سنة ١٩٤٢ قبل ان يتحقق هذا في الولايات المتحدة الاميركية

روينا قبلاً في المقتطف ان عالماً اميركياً (وهو يدعى انزباخر) وجد في مركب فيتامين B عاملاً يعيد السواد الى الشيب من الجرذان . وقد دعا هذا العامل الحمض پارا - امينو - بنزويك . وهو يوجد في الخيرة والكبد والعسل الاسود . فلما عقدت الجمعية الكيميائية الاميركية مؤتمرها السنوي في منتصف سبتمبر الماضي قرأ الدكتور انزباخر ومعاونته الدكتور مارتن رسالة جاء فيها ان التجارب التي جرّبت بالجرذان قبلاً واسفرت عن نجاح ، جرّبت كذلك بالبشر واصابت بنجاحاً

وقد جرّبت هذه التجارب في مستشفى مدينة بوسطن واشرف عليها الدكتور سيث وكان عدد الذين جرّبت بهم ثلاثين تنفاوت اعمارهم من احدى وعشرين سنة الى احدى وخمسين سنة . وروقب فعل هذه المادة في

الطعام والتدخين

الذين في دخان التبغ . وقد افرا هذا الرأي في قالب يستوقف الانظار اذ قال « ان هتزل النباتي لا يستطيع ان يجاري تشرشل الذي يأكل اللحم اذا أعطيا جرعتين متماثلتين من البيريدين والبنزين . ولو خلط طعام برنارد شو النباتي بقليل من البيريدين لما عمر الى الخامسة والثمانين »

عرض الطبيبان الباحثان الاميركيان ستيكول وكرونواي نتائج بحث دقيق اجرياه في صلة التدخين بالطعام . وملخص هذا الرأي ان الرجل الذي يستطيب أكل اللحوم ويكثر منه اقل تأثراً بالتدخين من النباتي . ففي اللحم مواد تولد البروتين في الجسم وهذه المواد تملأ على الغالب الاثر الضار للبيريدين والبنزين

« القلاع الطائرة » وطائفة من اوصافها الفنية

الى المستوى الذي تبلغه هذه الطائرات وقد عانت القلاع الطائرة ورجالها صعباً حمة من تأثير الصقيع . فعلى ارتفاع عظيم حيث تبلغ درجة البرد خمسين مئوية تحت الصفر تغطي نوافذها بطبقة من الصقيع الأبيض ولكن الامير كين اخترعوا جهازاً بارعاً دقيقاً للتغلب على هذه الصعوبة

رجال القلعة الطائرة سبعة — طياران ، ومراقب ملاح ، وعامل لاسلكي ، وعامل لاسلكي مدفعي ، ومدفعيان . وجميعهم يلبسون ملابس تدفأ بالكهربائية . واجتنباً لتسبب العرق الذي قد يتجمد عليهم ويبرد هم مهما يكن ملبسهم ، يتعين عليهم ان يلبسوا هذه الملابس رويداً رويداً وفقاً لتحليق الطائرة في الفضاء . ثم انهم مجهزون بالاكسجين وهو محفوظ في اسطوانات كثيرة في اوعية خاصة موزعة في جوانب الطائرة والتحليق بهذه الطائرات يؤثر تأثيراً شديداً في رجالها وهم لا يختارون الا بعدما يجتازون امتحانات خاصة تجري في حجر يخضع فيها الضغط لسيطرة الممتحنين . وقد تتأثر اجسامهم بالجهد والعناء اللذين تتعرض لهما فيشعرون بضرب من اعتقال العضلات يصلبهم فيمنعهم عن الحركة ويحسون بألم شديد يفقدهم البصر والنطق الى ان تهبط الطائرة . وقد تصاب عقولهم بنوبات متعاقبة من التهاؤل المبالغ فيه ، والقنوط . وبين الحالين لا يستطيع الا صاحب المشيئة الصلبة ان يحفظ الميزان

تعتمد هذه الطائرات — وهي ليست أضخم القاذفات بل تفوقها قاذفات سترلنغ البريطانية وليباريتور الأميركية — على ارتفاعها وسرعتها في اجتناب الأذى ، وهي لا ترتفع الى علوٍ تعجز المطاردات عن بلوغه ولكنه علوٌ لا تستطيع المطاردات ان تنشط نشاطها الكامل عند ما تبلغه . وهذه القاذفات مجهزة بمنظار « سيري » لتسديد القنابل . وبه يستطيع رجالها ان يسدوا قنابلهم من ارتفاع ٣٥ الف قدم او اكثر الى أهداف على سطح الارض . وهو جهاز غاية في الدقة . ولا بد من التدريب تدريباً طويلاً على استعماله لشدة تعقيدده . غير انه متى اتقن مسدد القنابل عمله استطاع ان يفوز بنتائج تبعث على الرضى ومحركات هذه القاذفات تستطيع ان تبلغ بها ارتفاعاً يحتاج المرء عند بلوغه الى استنشاق الاكسجين المخزون ، لان ارتفاعها قد يبلغ ٤٠ الف قدم . واذا لم يستنشق احد رجالها الاكسجين المخزون فقد وعية في ست دقائق وفارقته الحياة في نصف ساعة

وقد أثبت الامتحان ان تصميمها أعظم ما يكون اتقاناً . وهي قادرة ان ترتفع بضعة بضعة آلاف من الاقدام في أثناء الاعمال الحربية فوق المستوى الذي صممت له . وأعلى ما تستطيع الارتفاع اليه لم يعرف بعد . ولكن من النادر في تاريخ البشر بلوغ اجسام من المعدن سوائاً ، أساكنة كانت ام متحركة ،

الاشعة التي فوق البنفسجية

تزيد تكاثر النبات الواحد الخلية

انجستروما و ٢٤٨٣ انجستروما و ٢٦٥٢
انجستروما و ٢٩٦٧ انجستروما. (الانجستروم
جزء من ١٠ ملايين جزء من المتر) وتعرض
هذه الخلايا لكل من هذه الأمواج او
لاحدها يزيد معدل النمو زيادة معلومة
فالخلايا الخضراء المعرضة للأمواج التي طولها
٢٣٥٢ انجستروما يزيد معدل نموها ٤٦٧
الضعف وتعرضها للأمواج التي طولها
٢٤٨٣ انجستروما يزيد معدل نموها ٣٦١
الضعف

ومع ان عدد الخلايا زاد بفعل هذه الأمواج
الآن ان حجم الخلايا الفردية نقص فكأنها لم
تستوف المدة اللازمة للنمو الكامل قبل أن
تثيرها الأمواج الى الانشطار

تستعمل أمواج الأشعة التي فوق
البنفسجية ، من اطوال معينة ، لتنقية الهواء
في بعض المستشفيات من البكتيريا . وذلك
مباحث المسز فلورنس تشايس — العالمة
البيولوجية في المعهد السمبسوني الاميريكي —
على ان هذه الاشعة تقتل بالخلايا النباتية
الخضراء البدائية . ولكنها لما عرّضت هذه
الخلايا النباتية نفسها للأشعة نفسها مدة تبلغ
ثلثي المدة الكافية للفتك بالخلايا وجدت ان
نشاط الخلايا الى التكاثر زاد زيادة واضحة
ومعدل زيادة التكاثر تختلف باختلاف
طول الأمواج التي تتعرض لها الخلايا . وقد
وجدت المسز تشايس ان أنفع الأمواج من
هذا القبيل هي الأمواج التي طولها ٥٣٥٢

علاج جديد للحروق

ويُركش بمحلول هذا العقار مرة كل ساعة
ويُعنى عناية خاصة بدفعه ، فلا تنقضي اربعة
أيام حتى تتكوّن قشرة رقيقة على مكان الحرق
وتبدأ تنفصل عن الجلد الجديد بعد عشرة أيام.
والمحلول خفيف لا يؤذي العينين ويخترق
موضع الحرق بسرعة فيخفف الألم

صنّع عقّار جديد من عقاقير
السلفانيلاميد يدعى « سلفاديازين » وهو على
ما يلوّح من أفضل ما صنع حتى الآن لعلاج
الحروق. وقد أُقبل عليه جرّاحو جامعة جونز
هوبكنز . ويستعملونه الآن كلما قضت الحاجة
اليه . يوضع المصاب على ملاءات معقمة

القدرة على مقاومة المرض

على أعظمها في السنة العاشرة من العمر . ولو
احتفظ الناس مدى الحياة بهذه القدرة كاملة
غير منقوصة لعمرّوا خمسمائة سنة او تزيد

يذهب الدكتور هنري سيمز Simms أحد
أساتذة مدرسة الطب بجامعة كولومبيا ان
القدرة على مقاومة المرض في البشر تكون

شيء عن الصناعة الحربية في الولايات المتحدة الأمريكية

البريطاني في سنة ١٩٤٠ كلها. والى القارئ بضعة أمثلة على تقدم الصناعة الحربية الأمريكية بلغت قيمة ما صنعته مصانع الادوات اللازمة لصنع آلات الحرب في أميركا ٢٢ مليوناً من الدولارات في سنة ١٩٣٤ فزادت الى ٦٠ مليون ريال في الشهر الواحد في ابريل الماضي أي الى ما متوسطه ٧٠٠ مليون ريال في السنة الماضية على اساس هذا المعدل. ويتنظر أن تبلغ قيمتها السنوية في هذه السنة ١٩٤٢، ألف مليون ريال. بهذه الأدوات تصنع أميركا، البارود وسائر أنواع المتفجرات ومحركات الطائرات والدبابات والسيارات المدرعة والرشاشات والطائرات والمدافع والسفن الحربية والتجارية، فزيادة ما يصنع من هذه الأدوات مقياس الى حد ما، لما يصنع من السلاح والعتاد بها وحسبنا أن نضرب مثلاً أو مثلين

خذ المدافع الرشاشة: كان في أميركا قبل الشروع في برنامج الدفاع الضخم، مصنع واحد يصنع هذه المدافع فوسّع لطاقه وزاد انتاجه أضعافاً، ولكن الحكومة انشأت بالاتفاق مع بعض الشركات احد عشر مصنعاً اخرى لصنع المدافع الرشاشة، ولم ينجز أحدثها الا في يوليو وأغسطس الماضيين، والمدفع الرشاش الاول الذي صنع في هذه

لم تقبل الولايات المتحدة الأمريكية، على انشاء صناعة حربية واسعة النطاق، الا من نحو سنة وبعض سنة تقريباً. وكان عليها أن تتخذ من بضع مصانع الذخيرة التابعة للجيش، ومصنع واحد للمدافع الضخمة وصناعة طائرات محدودة بحدود المطلوب منها للخطوط التجارية، نواة لأعظم برنامج الانتاج الحربي في التاريخ. فكان لابد لها من أن تنشئ مصانع جديدة وأن توسع نطاق المصانع القديمة، وأن تحول مصانع السيارات الى صنع الدبابات ومحركات الطائرات وما أشبه، وأن تجهز جميع هذه المصانع بالأدوات التي لاغنى عنها في صنع آلات الحرب. وكان لابد كذلك، من أن توضع التصميمات الوافية لآلات الحرب الجديدة على ضوء الاختبار الحربي، وأن تعدّل مرة بعد أخرى ويقدم ما يصنع منها على غيره حيناً بعد حين ويؤخر غيره، وفقاً للحاجة الملحة، في أميركا وبريطانيا ثم في روسيا الآن

كانت السنة الماضية سنة تأهب، وعلى الرغم من أنها كانت سنة تأهب، أخرجت المصانع الأمريكية من الطائرات مثلاً ما يمكن أميركا، من أن ترسل منها الى بريطانيا في خلال السبعة الأشهر الأولى من سنة ١٩٤١ عدداً عوض كل ما خسرته سلاح الطيران

والليباريتور وغيرها. وقد قدر أحد الخبراء الجويين مجموع ما تصنعه مصانع روسيا وبريطانيا وأميركا الآن من طائرات، بسبعة آلاف طائرة في الشهر الواحد أو يزيد قليلاً. ويحتمل أن يزيد في سنة ١٩٤٢ الى نحو عشرة آلاف طائرة. بينما الإنتاج الألماني الاوربي يتفاوت بين ٢٥٠٠ وثلاثة آلاف طائرة في الشهر. وهذان المثلان، يُعدّان نموذجاً للتقدم الحثيث في الصناعة الحربية الاميركية، ولكن معدل التقدم متفاوت بتفاوت اصناف السلاح والعتاد

ومما هو جدير بالذكر ان المصانع التي تصنع محركات الطائرات صنعت ٤٥٠٠ محرك منها في شهر سبتمبر ١٩٤١. اما وقد خاضت الولايات المتحدة غمار الحرب متحدة الكامة متراصة الصفوف فلمعقول ان تزال جميع العوائق التي كانت تعوق الصناعة الاميركية عن بلوغها أوج قدرتها على الانتاج الحربي

المصانع الجديدة، تمّ في ابريل الماضي ولكن الصناعة فيها جميعاً على أساس النطاق الواسع Mass Production واذا حسبنا ساعات العمل في هذه المصانع ٢٤ ساعة في اليوم وسبعة أيام في الاسبوع، ففي كل دقيقتين يصنع فيها مدفع رشاش، أو ثلاثون في الساعة، أو ما يزيد على سبعمائة مدفع رشاش حديث كل يوم أو عشرين الفاً في الشهر

أو لناخذ الطائرات: كان مجموع ما صنع من الطائرات الحربية في الأربعة الأشهر الاولى من سنة ١٩٤١، ٤٦٥١ طائرة، والمعدل ١١٦٠ في الشهر. فبلغ ١٩١٤ في سبتمبر وينتظر ان يبلغ من ٢٥٠٠ الى ٣٠٠٠ في شهر مارس القادم، وقد يبلغ ٣٥٠٠ أو أكثر في منتصف ١٩٤٢. ولكن العدد وحده لا يكفي مقياساً لأن الاتجاه الآن في أميركا، الى بذل أعظم جهد في صنع القاذفات الضخمة ذات المحركات الاربعة—من طراز القلعة الطائرة،

المنجنيس وفيتامين C

الذي يزرع في ارض تقتقر الى المنجنيس يقل فيه فيتامين C بينما يكثر في الطماطم المزروع في ارض غنية بهذا العنصر. وقد أجرى هذه التجربة في اناء ليتمكن من ضبط جميع عناصرها فوجد ان اضافة مقدار من المنجنيس يبلغ جزءاً من ١٥٠ الف جزء من التربة التي في الاناء ضاعفت مقدار الفيتامين C في الطماطم

المنجنيس من العناصر التي تحتاج اليها كل أمة في صناعتها الحربية، لانه لازم لصنع صنف خاص صلب من الفولاذ. وقد اثبت البحث الحديث انه لازم كذلك لتركيب فيتامين C فقد نشر الباحث الكيميائي الدكتور جاكسون هستر في مجلة العلم الاميركية (وهي تقابل مجلة نايتشر الانكليزية) بحثاً يقول فيه ان الطماطم

اللوزتان وشلل الاطفال

أذاع الدكتور فشيير السكريير العام للجمعية الطبية الاميركية تحذيراً الى الاطباء بالامتناع عن زرع لوز الاطفال في أثناء تفشي وباء شلل الاطفال . وعنده ان الفيروس الذي يسبب شلل الاطفال ، قد يدخل الجسم عن طريق الفم والحلق . وعندما يدخل الفم والحلق تلتقطه اللوزتان فتصابان في أثناء قيامهما بالدفاع عن الجسم . ولذلك يعتقد فريق من الاطباء ان نهوض اللوزتين بهذا العمل الدفاعي المجيد ، يجعل الاحتفاظ بهما في أثناء تفشي وباء شلل الاطفال مرغوباً فيه إذ تُعَدُّ اللوزتان خطاً من خطوط الدفاع ضدّ غزو هذا الفيروس الوبيل . وما يصدق على اللوزتين يصدق على لحيات الأنف

الليزوزيم Lysosyms

قلت في باب الاخبار العلمية بمقتطف نوفمبر سنة ١٩٤١ ان الدكتور فيلاتوف يستعين على ترقيع العيون بمادة مطهرة هي الليزوزيم اذ توضع فيها العيون ريثما تباشر عملية الترقيع ، وان الليزوزيم مادة طبيعية واقية من التعفن اكتشفها فليمنج أحد اطباء بريطانيا العظمى وذلك في دموع البشر وفي غيرها من المفرزات الطبيعية الجمّة . ومع ذلك لم تستعمل في البلاد التي اكتشفتها بل اقتصر استعمالها على اتحاد جمهوريات السوفييات حيث يتوسلون بها الى وقاية البطارخ من الفساد وقدلفت نظري حضرة صديقي الدكتور احمد عبد الرحيم فهمي الرمدي المشهور الى ان هذه الكلمة الانكليزية تنطق ليزوزيم ، بزاين ويجدري بي في هذا المقام ترديد اعتراف العلماء

بكون الطبيعة اعظم اساتذتهم من أقدم العصور الى هذا الزمان ويسرني الآن ، تماماً لوصف الليزوزيم أن اقتبس ما سبق نشره بشأنه في مقتطف ديسمبر سنة ١٩٢٨ حيث قيل انه من أقوى المواد المعروفة لقتل الميكروبات . ويؤخذ من مباحث الدكتور فردريك ردلي أحد أعضاء الجمعية الطبية بلندن أن ملء ملعقة شاي من هذه المادة النقية تفعل في قتل بعض ميكروبات العين ما يفعله مائة جالون من ماء البحر الاجاج . وان هذه المادة توجد كذلك في كريات الدم البيض التي تهاجم الميكروبات المختلفة حين تدخل الجسم لتقيه منها وقد يصبح في الامكان استفرادها واستعمالها كما تستعمل المطهرات المشهورة عوض جندي

الحرارة والذاكرة

أجرى الدكتور جون فرنش أحد أساتذة جامعة برنستون الاميركية تجربة عجيبة ليتبين هل هناك صلة بين الحرارة والذاكرة. واتخذ سمك الرجان موضوعاً لتجربته ، فوضع السمك في حوض فيه تيه وبعدما تعلم السمك

مداخل التيه ومخارجه ، غيّر الباحث حرارة الماء مراراً فوجد انه كلما ارتفعت الحرارة زاد نسيان السمك ما تعلمه قبلاً من شئون هذا التيه . واستبعد القول بأن الماء الدافئ أفضى الى تراخي نشاط السمك

طول باشلس التيفود

يبلغ طول باشلس التيفود ثلاثة ميكرونات على المعدل او ثلاثة اجزاء من خمسة وعشرين الف جزء من البوصة. ولو كبرنا هذا الباشلس


حتى يبلغ طول مسطرة طولها قدم وكبرنا المسطرة بالنسبة نفسها لبلغ طول المسطرة عشرين ميلاً

عصر النتروجين

[تابع المنشور على الصفحة الثامنة]

واذا كان من المفروض في دوائر الحرب ان الجيوش يجب ان تتلقى الاوامر الصادرة اليها وتنفذها بغير تفكير فيها — وقد قال تينسون في قصيدته « كتيبة الفرسان الخفيفة » ليس ثمة مجال للتفكير ، ولا للسؤال — فان قواد الجيوش وضباط أركان الحرب لا يستطيعون التفكير في الخطط الحربية الا بالنتروجين ، فهو سر المادة السنجابية في الدماغ . أي إن الجيش يزحف بالنتروجين ويحارب بالنتروجين ويفكر بالنتروجين . بل ان الفكر كله في كل حضارة ليس الا مظهرآ من مظاهر النتروجين

نعم ان طوائف النبات والحيوان تحتاج الى عناصر اخرى غير النتروجين كالفسفور والبوتاسيوم والحديد والكالسيوم والمغنيزيوم والكبريت والبورون وغيرها . ولكن المتاح من النتروجين في مركبات تصلح للاستعمال هو العامل الذي يتحكم في النمو . واذا كان البستانيون يقولون « النتروجين للنمو ، والفسفور للون ، والبوتاسيوم للشمر » وتصنع الاسمدة الكيميائية محتوية على مقادير مناسبة من هذه العناصر ، فقولهم ان « النتروجين للنمو » يصدق على نمو البشر جسداً وعقلاً صدقه على نمو نبات البستان . ان هذا العصر هو عصر النتروجين



مكتبة المقتطف

المجلد رقم ١٣

كوميديّة من ثلاثة فصول بقلم الاستاذ محمود تيمور بك نشرتها مجلة «الحوادث» في ١٤١
صفحة من القطع الوسط — مطبعة عطايا بمصر

كانت مجموعة « ثلاث مسرحيات » التي أخرجها الاستاذ محمود تيمور بك وأشرت إليها في مقتطف نوفمبر الماضي أول الغيث الذي أفاض على المسرح المصري خيراً وبركة وعلى الأدب المصري العاشق ونموّاً ، فلم تكذب تخرج تلك المجموعة حتى تلقاها النقاد بما هي جديرة به من الدرس ، وكانت منار آراء واتجاهات في كتابة المسرحية المصرية ولغة الكتابة

أجل ! لقد كانت هذه المجموعة أول الغيث فهامي ذي مسرحية جديدة يخرجها تيمور بك بعنوان «المجلد رقم ١٣» تحتل بجانب أخواتها المسكنة اللائقة بها من اهتمام النقاد ، كما أعد للطبع مسرحيتين أخريين ، الأولى « عروس النيل » والثانية « عوالي »

والمسرحية الجديدة من ثلاثة فصول صور فيها المؤلف روح ثلاث طبقات من المجتمع المصري — العليا منه والمتوسطة والدنيا — وجعل مسرح حوادثها جميعاً في مجلّد ، وتناول هذه الحوادث بريشة ماهرة في مخزيتها وتمككها ، فمن الرقعة السيئ الحظ الذي وسم به المجلّد إلى أسماء شخصيات المسرحية التي جعل الكثير منها مناقضاً لخلق صاحبها أو منسجماً مع طبيعته . فهنا رجل مراب اسمه «ذهب افندي» وفتاة من غواني الملاهي اسمها «عفاف» ، وشاب مهذار اسمه «بهجت الناعم» وغير هؤلاء ممن وضع المؤلف أسماءهم مطابقة لروحهم وتجري حوادث المسرحية في أحد المخابىء العامة حيث لجأ فريق من الناس تختلف طباعهم ومشاربهم ومستواهم الأدبي على صوت صفارة الانذار ، وكلّ منا يذكر ما كان يدور في هذه المخابىء بين الناس في تلك الليالي السود من أحاديث وما يتجلى فيهم من ضعف أو قوة وتفاؤل أو تشاؤم . ولقد تناول الاستاذ تيمور كل ذلك في مسرحيته فكشف عن

النفس الانسانية في محنتها وما يساورها في ساعات القلق ومدى ما تتأثر به تبعاً لظروف الحوادث وتحولاتها، فهي في أول الامر لا تحس بشيء مما أعده القدر من مفاجآت أليمة. فحين نرى أصحاب الخبايا يدخلون اليه بعد ان انتزعهم من مهراتهم ومرحهم صفارة إنذار بالخطر فهم لا يزالون من لهوهم في نشوة فلا يلبثون ان يتابعوا ما كانوا فيه من مشاغلهم. فهنا المراهبي يفاوض الغني الارستقراطي في صفقة، وهناك الشاب المهدار يغازل فتاة الملاهي ويدعوها الى الغناء فالرقص، وفي ركن آخر خطيبان من الطبقة الراقية يريد الخطيب ان يجد له في الخبايا خلوةً أتاحها له الحظ بخطيبته المحافظة التي يضايقها ما تجد ويشغلها عن كل ذلك شغلها به الديها فتعامل خطيبها بقسوة. وهنا وهناك انواع شتى من الناس منهم مدرس ومنهم رجل أبله أخرس وبائع كعك وماسح احذية وامرأة بلدية عجوز. جميع هؤلاء قد اجتمعوا في مكان واحد وتفرقوا شيعاً في الفكر والغايات. ونحس ضيق بعضهم ببعض فما يلبث أن يقترح واحد منهم مراعاة نظام الطبقات في الخبايا وناحس سخريه البعض من البعض الآخر واستهجانهم لما يرون وما يسمعون حتى اذا طال بهم الوقت وسئموا البقاء وهما بالانصراف متسللين بدأ اطلاق القنابل وبدأوا يتراجعون الى مخبأهم في ذعر، وشغلهم الكرب عما كانوا فيه من لهو. فاذا كنا في الفصل الثاني وقد تهدمت عمارة على مقربة من الخبايا فسدّت انقاضها بابه كشف لنا المؤلف عن النفس البشرية عند ما يسد القدر عليها منافذ الرجاء فنحاول ان تصل بينها وبين السماء وتحاول ان تتناسى آثامها فيتنبه فيها الشعور الديني ويفكر اصحاب الخبايا في الصلاة عمى ان تنجيهم من ضيقهم ونراهم بعد ان كانوا يسخرون من الشيخ الابله الاخرس يسترضونه ويتطلبون بركاته ويقدمون اليه التبرعات ويتناسون الفروق وتؤلف المصائب بين قلوبهم. وهنا يطلق المؤلف ريشته الساخرة في كل موقف في دقة واقتدار. وما نلبث ان نجد هؤلاء المساكين بعد ان استنفدوا ما كان مع بائع الكعك طعاماً وقد استغل ماسح الأحذية هذا الموقف في المساومة على هذا الطعام، لا نلبث حتى نجد هؤلاء يتراحمون على زجاجات من الخمر كانت مع غانية الملاهي. حتى اذا كان الفصل الثالث وقد آذنت الشدة بالفرج وبدأت معاول رجال الانقاذ في ازاحة الانقاض عن الخبايا بدأت النفس البشرية ترتد الى طبيعتها الانكارية وبدأ أصحابنا يسخرون من شيخهم الأبله عند ما لاح بصيص النور وهبط اليهم رجل الاسعاف وبدأوا يحسون ما بينهم من فوارق. ونرى صحفياً يريد ان يلتقط لأصحاب الخبايا صورة فتقوم بينه وبين رجل الاسعاف مشادة يتدخل فيها بائع الكعك فيتضارب ورجل الاسعاف. وبين هرج الناس ومرجهم تدوى صفارات الانذار من جديد وتسمع طلقات المدافع ونرى الثغرة وقد هجرها المتفرجون وانماالت بعض الحجارة والأتربة من

الثغرة الى الخبايا ويسدل الستار وقد وقف ماسح الأحذية متوسطاً الخبأ وهو واضع يديه في خاصرته والطلق يقهقه

هذه هي مسرحية تيمور بك الجديدة التي حاول فيها أن يتخذ من ظروف الحرب الحالية مسرحاً يشرح فيه النفس الانسانية فأحسن التشريح وكشف عن طباعها في دقة ومهارة وقد أجرى الحوار فيها باللغة العامية . كالمسرحيات الثلاث السابقات . وإنه ليسرنا أن نعلم عزم المؤلف على إخراج مسرحياته جميعاً في طبعات جديدة باللغة الفصحى خاصة بالاقطار العربية وهي همة مشكورة ورعاية للأدب العربي يسجلها له المنصفون

حسن كامل الصيرفي

عيون معصوبة وقصص اخرى

بمجموعة قصص مصرية كاملة وشعر منشور — للاستاذ محمود كامل المحامي — دار الجامعة للنشر والطبع بالقاهرة — صفحاتها ١٤٣ تحوي ثمانى قصص واربع قصائد قصصية نثرية

ان نشاط الاستاذ محمود كامل لا حد له ولا مبالغة في الاحتفال به والثناء عليه . فقد أخرج في السنوات العشر الأخيرة عشر مجموعات قصصية ، وأشرف على إخراج احدى قصصه شريطاً سينمائياً ، وعلى نقل مجموعة مختارة منها الى الفرنسية واخرى الى الانكليزية (أنظر مقتطف ديسمبر سنة ١٩٤١) وهذا الى جانب اشتغاله اشتغالاً موفقاً بالحمامة وبإصدار مجلة الجامعة الاسبوعية

ولكن هذه المجموعة الأخيرة من قصصه « عيون معصوبة » تختلف عما سبقها في أنها مرسلة الطلق فيها المؤلف من قيود الخطة القصصية التي تخضع لاعتبارات « العقدة » وحبكتها وجعل حوارها بلغة عربية سهلة لا باللغة الدراجة . هذا من حيث الشكل والقالب . أما من حيث المعنى الغالب عليها ، فهي محاولة للدفاع عن « السمو العاطفي » في البيئة المصرية وهو يقصد « بالسمو العاطفي » على ماقل لفظة Romance أي الشعور الذي يحركه الخيال والانفعال الى بناء قصور في الهواء !

« والعاطفة التي تجمع احياء هذا الكتاب ، ليست تلك التي تنطلق بتفصيلاتها ألسنة السكران على أرضفة الحانات في ساعات الليل العائثة . انها العاطفة التي يعرف الشعرون بها عبقرية الصمت »

« إنهم سعداء لان لكل منهم روحاً أخرى تفكر فيه وتعنى به وتحنو عليه ولا يتحدث

أمام الغير ولا يبحث في الانقراض عن ماض بعيد يحيل به حياتهم الى جحيم مسمم . ان بطلات وأبطال هذه القصص لهم عيون شابّة تلمع عاطفة وولها وتدها . ولكنها معصوبة عن شرون الناس . أنها تقودهم نحو قدر محتوم يتجهون اليه راضين هائثين «
وقرأ المقتطف أعلم قراء العربية بهذا الاتجاه الجيد في تأليف الاستاذ محمود كامل وقد طالعوا في خلال السنة الماضية والتي قبلها ثلاثاً من هذه القصص ، مثل « امرأة أخرى » و« رعبدة الذكرى » وقد نشرت في المقتطف بعنوان « على صخرة في سيدي بشر » (مقتطف يوليو ١٩٤٠) و« عينان معصوبتان » (مقتطف يوليو ١٩٤١)

والحوار في جميع هذه القصص بارع وفيه لمحات دقيقة ولفظات بديعة تدل على استكناه المؤلف نواحي شتى من بواطن النفوس ودخائل الشعور كقوله في قصة (عينان معصوبتان) وهي قصة سيدة متزوجة — تحترم منزلة الزوجة ولكنها غير رضية العيش — تحدث مثلاً بالتليفون بغير أن يعرفها قبلاً او يعرف من هي وانما من البين ان روحها يوائم روحه
هو — ماذا تريكون مني ؟

هي — أن تدعني أبكي

وكقوله في قصة (امرأة أخرى) وهي قصة شاعر وامرأة أحبها ثم عرف أنه لم يكن أول من أحبت

هو — أجل . . فقد كرهت تلك القصيدة ولو استطعت أن أجمعها من المكتبات وأحرقها لما ترددت
هي — لم

هو — لان الوحي الذي ألهب روحي ليلتشد لم يكن تقياً

هي — انني سعيدة اذ أسمع منك هذا الكلام . . انك تحبني الى حد انك تغار من ماضي قبل أن تعرفني

هو — واهمة

هي — لا بل واثقة

هو — لن أبخل بان أدعك اليوم وانا اتحدث اليك حديث الوداع تتعزين بهذا الوهم . . . أما اليوم فان ما يألمني هو شعور الذين عرفوك قبلي ، بتفاهة تلك القصائد ، إنهم يقرأونها ساخرين . إنه شعور بالخيبة لا بالغيرة كما خيل اليك

هي — لست اول شاعر ألهبت روحه امرأة أحبها الناس من قبل

هو — هذا هو الفرق بيني وبينك . لو لم أحب في كل مرة كانني احب للمرة الاولى واودع للمرة الاولى لما استطعت ان اكتب شعراً

ان الاستاذ محمود كامل قلب بهذه المجموعة صفحة جديدة كريمة في حياته القصصية فنتمنى له اطراد النجاح والاقبال

الطريق

رسالة ثقافية اسبوعية — بيروت صندوق البريد ٦٧١ — الاشتراك ٥٠٠ قرش سوري في سوريا ولبنان
وجنيه انكليزي في الخارج

هذه المجلة الأسبوعية رسالة ثقافية تصدرها عصابة «مكافحة النازية والفاشية» في سوريا ولبنان التي أنشئت سنة ١٩٣٥. واعضاء مجلس ادارة المجلة هم الاساتذة عمر فاخوري، انطون ثابت، يوسف يزبك، رئيس خوري، ورئيس تحريرها الاستاذ قدرى قلعجي. امامنا الجزء الاول من «الطريق». وهو حافل بفصول نفيسة ادبية واجتماعية ولكن مقالة رئيس التحرير استوقفت نظرنا خاصة لانها بسطت «رسالة العصابة» بسطاً شافياً لبابها قوله «ان الاديب الحق لا يستطيع ان يكون حالمًا من اولئك الحالمين الذين يصدمون الواقع ويتهربون في فترة النضال الأكبر التي نعيش فيها، من واجب الدفاع عن الثقافة المهددة والحرية المنهضة بالجراح. الاديب الحق رائد من رواد الفكر، وقائد من قواد النهضة، ورسول من رسل الانسانية، وليس مخلوقاً غريباً مجنحاً، متقلب الاهواء، يرسم الزخارف على الطين، ويعيش نحيب الشكوك والاهوام، مصمماً اذنيه عن نداء المظلوم مغلقاً عينيه عن مدية الظلم»

وقد عالجنا هذا الموضوع في مقتطف يوليو ١٩٤٠ في فصل عنوانه «همة رجال الفكر في ازمان الحضارة» وهو ملخص عن فصل طويل للفيلسوف السياسي الانكليزي الاستاذ هارولد لاسكي. وركن هذه المهمة «خوض معركة الحضارة في سبيل الحرية العقلية والادبية لا الانزواء في برج عاجي وترفعه عن الكفاح» وكذلك «لا يجوز لرجل الفكر ان يقف موقف متعرج متجرد من شؤون عصره كأنه يزن قطعة من المعدن».

ولو «اراد التجرد في ما يتعلق بمسائل السياسة والاجتماع والاخلاق لوجده متعذراً» . واذا كانت هذه مهمة الاديب او المشتغل بشؤون الفكر، بوجه عام، فاما مهمة الاديب في هذا العصر الذي تتنابذ النزاع السياسية والاجتماعية وفي هذه الاقطار العربية اللسان ان مهمته في البلاد العربية على ما جاء في «رسالة العصابة» مكافحة النازية والفاشية وفي هذه الرسالة وفي الرسائل المقبلة من «الطريق» ما يقنعهم ان نضالنا ضد الفاشية والنازية وثيق الصلة بنضالنا من اجل استقلالنا وحريتنا متين الواشجة باصلاح المجتمع العربي ثم «واذن فنحن على حق حين نقول اننا في حاجة الى حرية العالم لكي نضمن حريتنا وامانينا». وبين القولين وفي سائر المقال الى منتهاه الادلة الناهضة على صحة هذا الرأي وقد خصصنا هذا المقال الاول بالكلام دون غيره من فصول «الطريق» النظرية والشعرية

لأنه ينطوي على مبدأ « الطريق » ونهجه ، وبالقياص الى تأييد هذا المبدأ في الاعداد التالية ،
والسير على هذا النهج ، يحكم على « الطريق » او لها . وبقيننا مما طالعهنا في عددها الأول انها
ناهضة بالعبء الذي لا يسع مفكراً ما او اديباً ما ان يتنحى عن حمله

قصص هندية للأطفال

بقلم الاستاذ كامل كيلاني — مطبعة المعارف ومكتبتها — خمس قصص جديدة

هذه سلسلة أخرى من سلاسل قصص الأطفال ، التي ما فتى الاستاذ كيلاني يعدها
وينشرها من سنوات وينفع بها مكتبة الطفل العربي ، فيمهد له في قصص يذكي الخيال
ويوسع الادراك ويهذب النفس ، طريقاً لتعلم اللغة العربية كما يجب ان يتعلمها . فاللفظ هنا
مختار والاسلوب فصيح سهل ، والكلمات مشكولة شكلاً كاملاً ، فالطفل الذي يتعود مطالعتها
لا بد ان يفوق غيره في اعادة اللغة والاقبال عليها ، متى بلغ المرتبة التي تقضي عليه بمعاونة
قواعددها . وسواء اصاب نجاحاً في دراسة قواعددها أم لم يصب ، فان قدرته على التعبير تعبيراً
عربياً سليماً ، لا بد ان تفوق قدرة غيره بوجه عام ، لأنه « يشب وقد صححت له ملكته »
كما قال علوبه باشا

وللاستاذ احمد فهمي العمروسي بك الربيعي المعروف رأي في مكتبة الكيلاني للأطفال
جدير بنا ان نوردّه قال : « ان هذه الكتب — في بابها — فتح موفق . فهي تنقل الأطفال
الى العلم ، وتطبعهم — بارادتهم — عليه ، ثم تدرج بين خطواتهم ، وتساير فيه ملكاتهم ،
وتنشئهم على اللغة الفصحى ، وفي بعض ذلك كل الفضل »

وكذلك معالي علوبه باشا وزير المعارف السابق قال من رسالة طويلة : « ومن أجل ما
استرعى نظري في هذه الكتب ، التي هي دعامة أساسية لتكوين الطفل ، أنها وضعت على
نسق جذاب يملك على الطفل فكره ، فاذا فكره كله فيما يقرأ ، واذا قرأته كلها في فكره .
ومزية من مزايا هذه الكتب ، فصاحة عربيتها في لغتها ، وحسن موقعها من نفس الطفل ،
فهو يمضي في قراءة القصة ، والقصة تمضي به في اسلوبها من الأداء ، والاسلوب يمضي بهما
في الفصاحة على حكمها سهلاً ممتنعاً لا تكلف فيه ولا معاصرة ومن ثم يشب الطفل وقد صححت
له ملكته وأشربت الفصحى فكرته . . . »

« ان خير انهاج التعليم — على قول احمد لطفي السيد باشا في هذه المكتبة — مصادف
هوى المتعلم ، وأجدى انماط التربية ما لاعم مزاج الصبي »

فهرس الجزء الاول

من المجلد المائة

١	رأي عالم كبير في الدين والعلم
٧	عصر النتروجين : به تحف الجيوش وتحارب
٩	أحاديث عن مي : —
١٠	حديث مصطفى عبد الرازق باشا
١٦	حديث هدى هانم شعراوي
٢٣	حديث الدكتور طه حسين بك
٢٩	حديث الامتاذ عباس محمود العقاد
٣٥	حديث مدام ايحي خير
٤١	حديث انطون الجميل بك
٤٧	حديث منصور فهمي بك
٥٦	حديث الاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني
٦٢	حديث خليل مطران بك
٦٥	حديث مي : لمحمد عبد الغني حسن
٦٩	تأثير الاوبئة في الحروب الماضية
٧٣	رابندرانات تاجور كما أعرفه : لمحمود النجوري
٨٣	نقل الطاقة الكهربائية أمواجاً في الاثير
٨٩	علم النفس ونفسية الافراد والشعوب : للدكتور ابراهيم ناجي
٩٤	العلم الحديث والشعور الديني الكوني

٩٧	باب الاخبار العلمية * رصاصة في القلب . عنصران خفيان . العناصر في ماء البحر . آمل الشيب . القلاع الطائرة وطائفة من أوصافها الفنية . الاشعة التي فوق البنفسجية . علاج جديد للحروق . القدرة على مقاومة المرض . شيء عن الصناعة الحربية في الولايات المتحدة الاميركية . المنعاجيس وفتامين C . اللوزتان وشلل الاطفال . الليزوزيم . الحرارة والذاكرة . طول باشلس التيفود . عصر النتروجين
١٠٥	مكتبة المقتطف * الخبايا رقم ١٣ . عيون معصوبة وقصص أخرى . الطريق . قصص كامل كيلاني